

(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)

و

موسى وعلیه نبیان مسلمان

تألیف

شیخ احمد رضا

مکتبہ الضعیفین

مفتیان - الأردن - ش. ۱۵۵۱۴۵

﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾

و

موسى وعيسى نبيان مسلمان

تأليف
الشيخ أحمد محمد شاوَر

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى

١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

الناشر
مكتبة الضفتين
عمان الأردن
٦٥٥١٢٥

□ مقدمة □

الحمد لله رب العالمين ، الذي أرسل رسوله للناس مبشرين ومنذرين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، والصلاة والسلام على خاتمهم وإمامهم سيد الأولين والآخرين ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه ، ومن استنَّ بسنته وحكم شرعه إلى يوم الدين .

أما بعد :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلَحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾^(٢).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) سورة آل عمران : ١٠٥ . (٢) سورة الأحزاب : ٧٠ ، ٧١ .

الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴿١﴾
وبعد ، فإن الله قد أعلمنا أن دين الإسلام هو دين الله ،
فقال تبارك وتعالى في محكم التنزيل : ﴿ إن الدين عند الله
الإسلام ﴾ ﴿٢﴾ .

وهذا الدين هو الذي بعث الله به رسله أجمعين ، وهذا
الدين هو الدين الذي رضي به سبحانه لأهل سماواته وأرضه ،
وأمر ألا يُعبد إلا به ، ولا يقبل من أحد سواه ﴿ ومن يتبع غير
الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ ﴿٣﴾ .
أي الذين يخسرون أنفسهم وأهلهم يوم القيامة . ﴿ ومن
يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴾ ﴿٤﴾ . أي من
يعرض عن الإسلام - ملة إبراهيم عليه السلام - إلا من استخف
نفسه أو أهلكها .

ولا أحد أحسن ديناً ممن التزم الإسلام واتبعه .
وهو (قول) أي بالقلب واللسان .

(وعمل) أي بالقلب واللسان والأركان ، (الجوارح)
فهذه الأشياء الأربعة جامعة لأمر الدين ﴿١﴾ ، وهو دين
التوحيد دين الله الوحيد ، ومعنى الدين : هو الطاعة والانقياد
لله ﴿٢﴾ .

ولقد حملني على تأليف هذا الكتاب ما قرأته من قرارات
المؤتمر الإسلامي المنعقد في (؟) ، وقد وردت فقرة
من قرارات ذلك المؤتمر تقول :
(إن مدينة القدس مدينة مقدسة عند الديانات
الثلاث ...) .

فالمؤتمرون للأسف الشديد أقروا لليهود والنصارى بأن
لهم دياناً أخرى من عند الله غير الإسلام ، ولا حول ولا
قوة إلا بالله العلي العظيم ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .
وبما أن الله واحد ودينه واحد ، ودين ما سواه باطل ،
فقد أردت أن أبين وأوضح للناس أن الله أرسل جميع رسله

(١) معارج القبول - أحمد الحكي : ١٧ / ٢ . يتصرف .

(٢) وهل أهل الكتاب عندهم الطاعة والانقياد لله ؟ .

(١) سورة النساء : ٦ . (٢) سورة آل عمران : ١٩ .

(٣) سورة آل عمران : ٨٥ . (٤) سورة البقرة : ١٣٠ .

بهذا الدين - وهو الإسلام - الدين السماوي الوحيد ، وأن
موسى وعيسى نبيان مسلمان ، عليهما الصلاة والسلام ، كما
سأيننه بالتفصيل ، إن شاء الله رب العالمين .

المؤلف

□ الإهداء □

أهدي كتابي لجميع الناس من الذكور والإناث ، المخدوعين
بدعاية الكفار والمشركين من الصهيونيين والصليبيين
والشيوعيين والعلمانيين ومن لف لفهم وسار على دربهم ؛
كي يعودوا لربهم رب العالمين ، وينقذوا أنفسهم من
العذاب المهين ، عذاب ربهم ورب العالمين أجمعين .
اللهم اهدهم وأرشدهم إلى صراطك المستقيم ، إنك على
كل شيء قدير .

وكتبه العبد الفقير

أحمد محمد شاوور

□ الاستشهاد بالقرآن الكريم □

قد يقول قائل ، ويسأل سائل محايد ، ينتهي وجه الله ويريد اتباع الحق ، لماذا استشهدت بالقرآن الكريم دون غيره ، فأقول ، وبالله التوفيق :

أولاً : إن القرآن هو الكتاب الذي حفظه الله من التغير والتبديل ، أو التحريف أو الزيادة والنقصان ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾^(١) . والله يعلم أنه الكتاب الناسخ للكتب السماوية السابقة .

ثانياً : لقد حفظ القرآن في صدور الرجال والنساء والأولاد والبنات من أبناء الأمة جيلاً بعد جيل ، وهذا من فضل الله عليهم ، ومن تقديره بحفظ كتابه الخالد من التغير والتبديل ، ولم يحفظ من الكتب السماوية غير القرآن الكريم ، وحفظه في الصدور ساعد على حفظه والمحافظة عليه من الزيادة والنقصان ، فقبل مدة طويلة قرأت مصحفاً حذف منه آية من

(١) سورة الحجر : ٩ .

سورة الممتحنة ، وهي قوله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تُولُوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ^(١) . وسرعان ما أخبرنا عن طبعته المستولين ، حيث عُمِّم بمصادرتها من السوق ولله الحمد ، وهذا من عمل اليهود طبعًا ، فهم يعملون على العبث بكتاب الله كما عثوا بالتوراة والإنجيل ، وكتبوهما بأيديهم ، وقالوا : هو من عند الله ، وما هو من عند الله .

ثالثًا : أنزل الله القرآن للناس جميعًا ، كي يهتدوا بهديه ، وبحكموه فيما بينهم إلى يوم القيامة ، فينتفع به المؤمنون ، ويهتدي به الضالُّون ، وينشر به العدل بين الناس ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ ^(٢) .

رابعًا : إن الكتب السماوية السابقة : التوراة والإنجيل ؛ دخل عليها التغيير والتحريف والتبديل فقد قام خيلاء اليهود بتأليف كتب غير التوراة والإنجيل وسموها باسمها ، ونسبوها لله ولموسى

(١) سورة الممتحنة : ٩ .

(٢) سورة النساء : ٥٩ .

وعيسى ، كذبًا وبهتانًا ، وافتراءً على الله وأنبيائه ، وما هي إلا من تأليف عقولهم المريضة وأفكارهم الخبيثة ، المسمومة والمحشورة بغضًا وحقدًا وحسدًا على أنبياء الله وأتباعهم من المؤمنين بربهم ، وقد أخبرنا ربنا بذلك ، فقال عزَّ من قائل : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ ^(١) .

خامسًا : لقد نسخ القرآن الكريم الكتب السابقة ، قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾ ^(٢) .

أي حاكمًا عليه ، أي على الكتب السابقة ، لذا فإن مهمة الكتب السابقة انتهت بنزول القرآن الكريم ، وبإذن الله تبارك وتعالى فلا يجوز أن نستشهد بما جاء في التوراة والإنجيل ، إلا إذا وافق ما في القرآن الكريم والحديث الصحيح ، وهذا حكم الله ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقِيَمُ وَلَكِنْ

(١) سورة البقرة : ٧٩ .

(٢) سورة المائدة : ٤٨ .

أكثر الناس لا يعلمون ﴿١﴾.

* * *

□ مثال عقلي مادي على انتهاء مهمة □ التوراة والإنجيل

لنأخذ مثلاً أحد ملوك الدنيا ، أرسل لأحد أبناء رعيته ،
وكلفه بتأليف وزارة ، وأعطاه كتاب التكليف متضمناً الأنظمة
والتعليمات التي يجب أن يسير بموجبها هذا الوزير ، ويسمى
الناس عليها ، فسار الناس حسب التعليمات والنظم والأحكام
التي أمر بها هذا الوزير ، فلما مات هذا الوزير ، أرسل الملك
كتاب تكليف جديد لوزير جديد ، كي يؤلف وزارة جديدة
تسير بموجب تعليمات ونظام الكتاب الجديد ، فهل يعقل أن
يخالف الناس التعليمات الجديدة ، ويقولوا : نحن نسير على
النظم والتعليمات التي في الكتاب السابق ؟ وهذا مثل اليهود ،
الذين زعموا أنهم آمنوا بموسى وكتابه التوراة ، ولم يؤمنوا
بعيسى ولا الإنجيل الذي جاء به .

كذلك عندما مات الوزير الثاني المشار إليه كلف الملك
وزيراً صالحاً آخر بتأليف الوزارة ، وأعطاه التعليمات والنظم
والأحكام التي بموجبها تسير أمور الدولة ، وقال الملك لهذا

(١) سورة يوسف : ٤٠ .

الوزير الأخير : إن القانون الموجود في الكتاب الذي أرسلته هو قانون دائم للدولة وللناس يسيرون عليه إلى آخر الحياة . فهل يقبل من أحد من أبناء الرعية بأن يرفضوا هذا الكتاب أو ينفوه أو يتقصوا منه أو يخالفوه ؟ لا يقبل أبداً ، وماذا يعتبر القانون هؤلاء الناس الخارجين عليه ؟ يعتبرهم خائنين خيانة عظيمة ، يستحقون بموجبها القتل أو العذاب والسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة . . .

وهذا مثل اليهود والنصارى ، الذين يزعمون أنهم آمنوا بموسى وعيسى وآمنوا بالتوراة والإنجيل ، ويقولون : لا نؤمن بالقرآن ورسوله الذي جاء به آخر الأنبياء والرسال . فهل يقبل الله منهم هذا الزعم ؟ لا يقبله أبداً إلا إذا آمنوا بموسى وعيسى ومحمد ، صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين ؛ لأنهم كلهم رسل إليه واحد ، ومبعوثون بدين واحد ، وهو دين التوحيد ، دين الإسلام الحنيف .

ونقول لهؤلاء ولكل الناس بأن كتاب الله الخالد - القرآن الكريم - هو الباقي ليوم القيامة ، يوم الحسرة والندامة ، وأن هذا القرآن دستور الأمة ، فمن كفر به لعنه وعذبه ؛ لأنه كافر

معاند ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾^(١) .

﴿ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾ : يستصرون .

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا ﴾ : أي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد عرفوا بعينه في كتبهم .

* * *

□ دين الله واحد □

الدين الذي ارتضاه الله سبحانه لعباده هو دين واحد ، وهو دين التوحيد الذي أرسل به الرسل ، كما بين سبحانه وتعالى في سورة الشورى ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ﴾ (١). أي أن الله بين ومن لكم طريقا واضحا ، وهو ما أمر به ، وألزم جميع رسله وأنبيائه بالمحافظة على دين التوحيد قائما ، أي تمسكوا به ، ولا تختلفوا فيه فعملوا ببعضه وتركوا بعضه ، كما فعل اليهود والنصارى مثلا . ﴿ كبر على المشركين ﴾ : أي شق وعظم عليهم ما تدعوهم إليه يا محمد من التوحيد ، ثم بين سبحانه أنه ﴿ يجبي ﴾ أي يصطفي ويختار لدينه من يشاء الهداية ويؤثرها على الشرك ، ويهدي إليه سبحانه من ﴿ ينيب ﴾ أي من يرجع إليه ويقبل على طاعته .

(١) سورة الشورى : ١٣ .

وفي آية أخرى يكرر الله جل وعلا على من أراد دينًا سوى دينه ، وهو الإسلام الذي أرسل به رسله ؛ فيعبده العباد وحده لا شريك له ، قال سبحانه : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾^(١) .
في الآية الكريمة توبيخ لأهل الكتاب ، ولكل من أراد دينًا غير دينه تبارك وتعالى .

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ أي يطلبون دينًا غير دين الله ؟ ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ أي استسلم وانقاد وحضض له مَنْ فِي السَّمَوَاتِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ . ﴿ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ أي طائعين أو مكرهين ، فالمسلم يستسلم لله بالقول والعمل ، وبقلبه وجوارحه ، طائعًا مختارًا راضيًا . أما الكافر فهو مستسلم لله كرهًا فإنه تحت التسخير والقهر^(٢) عيانًا بالله ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ يحيرهم سبحانه بأنهم سرجعون إليه فيجازيهم بأعمالهم ، فلينظروا ماذا لأنفسهم يعملون وماذا يقدمون

(١) سورة آل عمران : ٨٣ . (٢) مختصر ابن كثير ٢٩٧/١ بتصرف .

□ سورة الكافرون □

وهي : سورة البراءة من الشرك

وهي هذه السورة العظيمة الكريمة بين لنا زينة عز وجل أن دينه الذي أمر به عباده بالتمسك به هو دين التوحيد ، وأن الذين لا يعدون الله وحده هم مشركون كفار فجار ، تجب البراءة منهم ومن معبودهم مهما كان نوع هذا المعبود ، وثنا أو نازًا أو شجرًا أو بشرًا ، كما قال اليهود : نعبد عِزْرًا ، وقالت النصارى : نعبد عيسى .

والخلاصة أن كل من أشرك بالله في عبادته شيئًا ، فهو مشرك كافر فاجر ، خالد مخلد في نار جهنم ، ولا يَرْجَى له خير إذا مات على ذلك .

فدين الكفار واحد على اختلاف مشاربهم ، سواء كانوا يهودًا أو نصارى ، أو قومييس أو مناققين ، أو بعضيين أو شيعويين ... فهو دين وضعي ، وضعه البشر من وحي الشيطان .

ودين التوحيد واحد ، وهو الإسلام دين الله الواحد ، فلما

أراد بعض رعماء قريش أن يُدعنوا الشرك في دين الله ، أو يخلطوا دينهم - دين الشيطان - بدين الرحمن - دين الإسلام طلبوا من رسول الله محمد - صلوات الله وسلامه عليه - طلبوا منه أن يعبد آلهتهم الأوثان عابداً ، ويعبدوا إلهة عابداً ، فأمر الله (سورة الكافرون) وهي سورة البراءة من الشرك وأهله ومما يعملون في الحاضر والمستقبل ، فقال عمر بن قائل :

﴿ قل يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولي دين ﴾ .

في هذه السورة خاطب الله نبيه بقوله : قل يا محمد لأهل الباطل وأهل الشرك ، الكافرين بالوحي الإلهي وبالأنبياء والرسل . وهذا الخطاب موجه لكل كافر على وجه الأرض حتى قيام الساعة .

والكافر هو الجاحد المعاند ، الذي يغمض عييه عن رؤية الحق ويسد أذنيه عن سماع الحق ، وأصر على الباطل واستكبر كصاحبه إبليس اللعين ، وكما أحر نوح عليه السلام عن كفار

قومه ﴿ وإني كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَامْتَكَبُوا ﴾ (١) .

يقول سبحانه لبنيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ قل يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ سَمَّاهم كافرين من البداية ؛ لأن كل مشرك بالله كافر ، أمر رسوله أن يتبرأ من دينهم الباطل الفاسد بالكلية ؛ لأنه دين شيطاني أوجدوه واحتلقوه من عند أنفسهم حَسَبَ ما زَيَّن لهم الشيطان وعلمهم ، وَحَسَبَ أهوائهم وشهواتهم ، وليس عندهم به برهان من ربهم عَرَّ شأنه ، والسورة تفيد أنه لا مهادنة للكفار ، ولا مُلَائِنَةٌ لهم ولا ترقيع في الدين ، كما قال الشيخ سيد قطب ، رحمه الله .
لذا فيجب قطع كل علاقة بين الموحدين والمشركين ، مهما كانوا وأينما كانوا ، حاصراً ومستقبلاً إلى يوم الدين ، ماداموا على الشرك مُصْرِّين ، إلى أن قال سبحانه : ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ .

قال البخاري ، رحمه الله تعالى :

(١) سورة نوح : ٧ .

﴿ لكم دينكم ﴾ : الكفر .

﴿ ولي دين ﴾ : الإسلام .

ولم يقل : ديني ؛ لأن أواخر الآيات بالنون ، فحذف الياء ، كما في قوله سبحانه :

﴿ عدين ﴾ و ﴿ يشفين ﴾^(١) .

كذلك من معاني :

﴿ لكم دينكم ﴾ أي الفاسد الذي يورثكم النار .

﴿ ولي دين ﴾ أي الصحيح الذي يُورث من تمسك به الجنة .

ومن معاني :

﴿ لكم دينكم ﴾ أي لكم شرككم وكفركم لا يتعداكم ، شره .

﴿ ولي دين ﴾ أي لي إخلاصي وتوحيدي لا يصلحكم خيره .

وقد استدلل الإمام الشافعي ، رحمه الله تعالى ، وغيره بهذه

(١) مختصر ابن كثير ، ٣ / ٦٨٦ .

الآية الكريمة ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ على أن الكفر ملة واحدة ونحن نستخلص من هذا أن دين الإسلام واحد ، وأن دين الكفر واحد ، ولا ثالث لهما ، كما يقول البعض جهلاً : (الأديان الثلاثة) .

وقد تضمنت هذه السورة معجزة كبرى لبيا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وإن كان القرآن كله من أعظم معجزاته صلى الله عليه وآله وسلم .

والمعجزة في هذه السورة جاءت من جهة الإخبار بما سيكون في الأوقات المستقبلية ، مما لا سبيل إلى علمه إلا بوحي من قبل الله عز وجل العالم بالغيوب ، فكان ما أخبر به من إصرار هؤلاء الكفار على كفرهم ، حتى قضوا وهم كافرون ، ومن ثبات المسلمين على عقيدة التوحيد^(١) إلى يوم الوعيد .

وفي هذه السورة دلالة واضحة على ذم المذاهبة والترقيع في الدين ، ووجوب مخالفة الكفار والمبطلين ، والبراءة منهم والبعد عنهم ، والتبرؤ من شركهم وكفرهم .

(١) تفسر وبيان / الشيخ الصواف / ٥٤٨ .

وكل من يدعو إلى التقارب بين ما يُسمى بالديانات ؛ أي بين دين المسلمين ودين المشركين ، من يهود ونصاريتين ، فهو يدعو في الحقيقة إلى الشرك والكفر بدين الله .

وهنا أسوق للقارئ اللبيب بعض النصوص القرآنية التي تبين كفر أهل الكتاب ، الذين يريد بعض المتسبين للإسلام أن يتقاربوا مع دينهم ، وأنهم يودون أن يكفر أهل الإسلام مثلهم .

﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يئس إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾^(١).

﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ﴾^(٢) .
﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ﴾^(٣) .

ولقد قال العالم العابد الرباني سيد قطب ، رحمه الله

(١) سورة المائدة : ٧٢ . ومثلها آية ٧٣ ، وآية ١٧ من نفس السورة

(٢) سورة البقرة : ١٠٩ . (٣) سورة النساء : ٨٩ .

تعالى ، بهذا الصدد (في ظلال القرآن) :

إن الدين الذي نزل على رسول الله الأمين هو الدين عند الله .

والتسامح يكون في المعاملات الشخصية ، لا في التصور الاعتقادي ولا النظام الاجتماعي أما هؤلاء فيحاولون تميع اليقين الجازم في نفس المسلم ، الذي يقرر أن ليس لله دين إلا الإسلام ، وأن على المسلم أن يحقق منح الله المُثل في الإسلام ، ولا يقبل دونه بديلًا ، ولا يقبل فيه تعديلًا ولو طفيفًا ، والمسلم مكلف أن يدعو أهل الكتاب إلى الإسلام كما يدعو الملحدين والرئيس سواء^(١) . انتهى .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه الله تعالى : ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ اللام في لغة العرب تدل على الاختصاص ، فأنتم مختصون بدينكم لا أشرككم فيه ، وأنا مختص بديني لا تشركوني فيه ، كما قال تعالى : ﴿ لي عمل ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون ﴾^(٢) .

(١) الظلال : ٩٠٩/٢ - ٩١٥ . يتصرف . (٢) سورة يونس : ٤١ .

وليس في هذه الآية أنه رضا بدين المشركين ولا أهل الكتاب ، كما يطمه بعض الملحدين ، ولا أنه نهى عن جهادهم ، كما طمته بعض الغالطيين وجعلوها منسوخة .

بل فيها براءة من دينهم وبراءتهم من دينه ، وأنه لا تضره أعمالهم ، ولا هم يجزون بعمله ولا يدفعهم وهذا أمر محكم لا يقل النسخ ، ولم يرض الرسول بدين المشركين . ولا أهل الكتاب طرفة عين . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ فَلذَلِكَ فَادْعْ وَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كُتُبٍ وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ﴾ (١) .

وإذا كان الله سبحانه قال . ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعْتَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِلَيَّ يَرْجِعُ أَعْمَالُكُمْ ﴾ (٢) .

فيراها الله سبحانه من معصية من عصاه من أتباعه من المؤمنين ، فكيف لا يرثه من كفر الكافرين الذين هم أشد له معصية

(١) سورة الشورى : ١٥ . (٢) سورة الشعراء : ٢١٥ ، ٢١٦ .

ومخالفة (١) ؟ . انتهى .

وجاء في تفسير القرطبي ، رحمه الله :

قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه السورة (الكافرون) : ليس في القرآن أشد غيظاً لإبليس منها .. لأنها توحيد وبراءة من الشرك (٢) .

قلت : زاد الله إبليس وجنده من الملحدين والمشركين والمنافقين غيظاً وقيظاً ، وسوءاً في العاقبة .

فَيَأْتِيهَا الْمُسْلِمُونَ الْمَوْحَنُونَ . لَا تُرَدُّدُوا الْمَثَلِ الْجَاهِلِي (كل على دينه ، الله يُعِينُهُ) فهذا لا يجوز أبداً ، بل الواجب علينا وعليكم التبرؤ من دين الشيطان ، دين الكفران ، دين الشرك بجميع أنواعه وأشكاله . والله الموفق .

* * *

(١) الجواب الصحيح لمن يدرك دين المسيح . لابن تيمية : ١٧

٣٠ ٣٢ . بتصرف بسيط .

(٢) تفسير القرطبي : ٢٠ / ٢٣٥ .

□ الله جل جلاله □

من هو الله ؟

قال ابن كثير ، رحمه الله تبارك وتعالى :

الله عَزَّمْ عَلَى الرَّبِّ الْعَظِيمِ ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى . وَيُقَالُ : إِنَّهُ
الْأَسْمُ الْأَعْظَمُ ؛ لِأَنَّهُ يُوصَفُ بِجَمِيعِ الصِّفَاتِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى :
﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤَمِّنُ
الْمُهَيِّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(١) .
وَهُوَ اسْمٌ لَمْ يُسَمَّ بِهِ غَيْرُهُ . انْتَهَى .

الله رب كل شيء ومليكه ، وهو على كل شيء قدير .
﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ ﴾^(٢) .

من آمن بالله وعرفه فهو يعرف كل شيء .
﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾^(٣) .

(٢) سورة الحديد : ٣ .

(١) سورة الحشر : ٢٣ .

(٣) سورة النقرة : ٢٨٢ .

ومن لم يؤمن بالله فهو كالأنعام - البهائم - يأكل مثلهم ،
ويسكن النار وبئس القرار .

﴿ والذين كفروا يمتصون ويأكلون كما تأكل الأنعام
والنار مشوى لهم ﴾^(١) .

وهو الحي القيوم .

﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾^(٢) .

﴿ وهو علیم بذات الصدور ﴾^(٣) .

فهل هذه الصفات يمكن أن تصف بها أو ببعضها أحدًا كائنًا
من كان ؟ غير معقول ولا مقبول .

وقال ابن كثير ، رحمه الله تبارك وتعالى :

و (الله) اسم لم يسم به غيره ، تبارك وتعالى ، ولهذا لا يعرف
له في كلام العرب اشتقاق .. فهو اسم جامد ، وقد نقله
القرطبي عن جماعة من العلماء منهم : الشافعي ، والغزالي ،
وإمام الحرمين^(٤) .

(١) سورة محمد . ١٢ . (٢) سورة الأنعام : ١٨ .

(٣) سورة الحديد : ٦ . (٤) مختصر ابن كثير : ١٩/١ .

وبعد : فإننا نقول لأهل الكتاب الذين يريدون الحق : هل
يجوز أو يعقل أن يطلق اسم « الله » على عيسى كما يزعم
النصارى ؟ لا يجوز أبدًا هذا . فلو أطلقنا اسم (الله) على
غيره بطل هذا الغير وانتفى ؛ لأن الله ليس كمثله شيء من
مخلوقاته ، ولا يشبهه منهم أحد في صفاته ، وإذا أراد أو فكر
في أن يتصور ذات الله تعالى فيها شيء لشيء ما ، فيحب عليه
أن يتبادر إلى ذهنه أنه لا يشبهه أحد في ذاته ولا في صفاته ،
وأن يحمل هذه الجملة أمام ناظره ، وهي : (كل ما حُطِرَ
بإلئك فهو ليس كذلك) . سبحانه من مالئ لك ، ولجميع
الخلق والممالك .

* * *

● = إمام الحرمين هو الإمام أبو المعالي الخويسي ، تُقْبَلُ بإمام الحرمين
لأنه أمّ المصلين في المسجد الحرام والمسجد النبوي . نقلًا عن
كتاب (الطريق إلى الخلافة) اختصار محمد الحسن ص ١٦ .

□ الله واحد وغيره اثنان □

أعود بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم :
﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ﴾ .

صدق الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، فإنه واحد ، والذي يلد أو يولد فهو أكثر من واحد ، حيث يصير اثنين وأكثر ، وحاشا لله أن يكون كذلك ، ومتى أتى لفظ الجلالة (الله) اسم لم يتسم به أحد من قبل ولا من بعد ، وأنه - أي لفظ الجلالة (الله) اسم جامد غير مشتق ، وأن الله ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير .

فهل عيسى عليه الصلاة والسلام واحد ؟ وهل هو ليس كمثلته شيء ؟!

فكل الناس فيهم شبه من عيسى عليه السلام ، الشكل والخلق ، والكلام ، والأكل والشرب ، والنوم ، وكذلك فإن عيسى عليه السلام ليس وحيداً في الرسالة ، فقد سبقه رسل كثير ، نوح عليه السلام أولهم : ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا

إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأنبياء وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً ﴾ .

فهل يقال بعد هذا : إن عيسى إله ، أو ابن الله ؟ ثم أنه بشر من خلقه الله تبارك وتعالى ، وأكرمه وشرّفه بالرسالة والنبوة ؟ بل هو بشر ، وهو حاتم أسياء بني إسرائيل ، ومحمد ﷺ حاتم الأسياء جميعاً ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إلى يوم البعث والدين .

* * *

□ مثال عقلي مادي على بشرية عيسى □ ونفي ألوهيته

قال أبو محمد ، غفر الله له ولجميع المسلمين :
كان والدي في الثلاثينات يعمل في الكلية العلمية
الإسلامية بالقدس^(١) ، وكان له جيران من الأحرار والقساوسة
والرهبان ، فجمعتهم حفلة عامة ، وقد دار الحديث أثناء
الحلقة عن الإسلام والدين ، وتطرق الحديث إلى عيسى عليه
السلام .

قال والدي للقساوسة والرهبان : أنتم تقولون : إن عيسى
ابن الله ؟ قالوا : نعم .

وتقولون : إن عيسى استلم الملك عن أبيه وهو الإله
المتصرف الآن ؟ قالوا : نعم .

قال : وكيف ذلك ؟ لكي يوقعهم في حيرة أمرهم .

قالوا : إن (الله الأب) - تعالى عما يقولون علواً كبيراً

(١) القدس عاصمة دولة فلسطين المسلمة ، رغم أنف اليهود .

قد كبر ، وإن ابنه عيسى قد تسلّم الملك مكانه .
قال والدي : كم مضى من عمر عيسى الآن ؟
قالوا : حوالي ألف وتسعمائة سنة .

قال والدي : إذن هو كبر الآن ، وصار بحاجة لمن
يساعده حسب رعمكم ، فمن يريدون أن تعيّنوه وتصبّوه
مكم ليساعده في إدارة الملك ؟ فبهتوا جميعاً ولم يحيروا
جواباً ، والحمد لله .

وفعلًا اقتنع بعضهم بكلام والدي المعقول مادياً ، وعرفوا
أن المدي يولد أو يد يد يكر في السي ، ثم يهرم ثم يموت ،
وأن هذا مثل عيسى ، فهو مولود بشر ولا يمكن أن يكون
إلهًا أو ولد إله ، وقد أسلم كثير من هؤلاء القساوسة على
يد والدي رحمه الله ، وهذا بتوفيق الله له ولهم ، كما تأمر
على قتله من عاندوا وأصروا على الكفر ، فحذّره مَنْ أسلم
من مكرهم ، فنجّاه الله منهم .

نسوق هذه القصة الواقعية لكل من يريد أن يسلم ويعود
للحق بإذن الله ، والله الموفق .

□ والله لا ينام ولا يموت □

قال الحق سبحانه :

﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم﴾^(١).

هو الحي الذي لا يموت أبداً ، وهو القيوم ، القيم الشاهد على غيره .

قال صاحب الظلال :

(والحياة التي يوصف بها الإله الحياة الداتية ، لم تأت من مصدر آخر كحياة الخلائق المكسوبة ، الموهوبة لها من الخالق ، كما أنها هي الحياة الأزلية الأبدية ، التي لا تبدأ من مبدأ ولا تنتهي إلى نهاية .

أما صفة القيوم فتعني قيامه على كل موجود ، كما تعني قيام كل موجود به إلا مُرْتَكِبًا إلى وجوده وتديره)^(٢) . انتهى .

﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ وهذا يعني العاس ؛ النوم

(١) سورة البقرة : ٢٥٥ . (٢) في ظلال القرآن : ١ / ٢٨٦ .

لخفيف ، أو النوم المستغرق عنه ، وترهه سبحانه عنهما إطلاقاً .

روى ابن عباس رضي الله عنهما أن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام : هل ينام ربك ؟ قال : اتقوا الله .

فتأده ربه عز وجل : يا موسى ، سألوكم هل ينام ربك ؟ خذ زجاجتين في يديك ، فقم الليلة . ففعل موسى .

فلما ذهب من الليل ثلث نَعَسَ موسى ، فوقع لرأسته ثم انتعش فصططهما ، حتى إذا كان آخر الليل نَعَسَ ، فسقطت الزجاجتان فاكسرتا ، فقال : يا موسى ، لو كنت أمام لسهطت السموات والأرض ، فهلكت كما هلكت الزجاجتان في يديك . فأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم آية الكرسي^(١) .

(١) رواه ابن أبي حاتم رحمه الله . مختصر ابن كثير ، رحمه الله : ١ / ٢٣٠ .

والمعروف أن عيسى ينمى ويام ، عليه السلام ، فكيف
يحفظ السموات والأرض من السقوط أو الهلاك ؟ فاتقوا الله
يا أولي الألباب لعلكم تفلحون .

* * *

□ الله رب العالمين □

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين
إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين
أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴿١﴾
آمين يا أرحم الراحمين .

هذه السورة العظيمة تسمى « العاتمة » ، لأنه تفتح بها
القراءة في الصلوات .

ويقال لها أيضاً : « أم الكتاب » . ولها أسماء أخرى ، منها
« الحمد » ، « الشعاء » ، « الواقعة » ، « الكافية » ، « أساس
القرآن » .

قال البخاري ، رحمه الله تعالى :
سُميت أم الكتاب ؛ لأنه يُبدأ بكتابها في المصحف ، ويُبدأ
بقراءتها في الصلاة^(١) .

(١) مختصر ابن كثير : ١ / ١٥ .

وهي أعظم سورة في القرآن الكريم ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه : « لأعلمك أعظم سورة في القرآن ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ ؛ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته »^(١). وقد ذكرت في هذا الكتاب لإثبات من لم يعرف أن الله رب العالمين ، وأنه ربهم فقط ، وهم اليهود والملاحين .

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ .

قال الجوهري : الحمد نقيض الذم ، تقول : حمدت الرجل أحمده حمداً ، فهو حميد ومحمود .

والتحميد أبلغ من الحمد .

والحمد أعم من الشكر .

والشكر هو الثناء على المحسن بما أولاه من المعروف ، يقال : شكرته وشكرت له .

وأما المدح فهو أعم من الحمد ؛ لأنه يكون للحي والميت

(١) رواه البخاري ، والإمام أحمد في المسند ، ورواه أبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه .

والجماد ، كما يمدح الطعام والمكان ، ونحو ذلك وفي الحديث الشريف عن رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، أنه قال : « أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله »^(١).

والألف واللام في ﴿ الحمد ﴾ لاستغراق جميع أجناس الحمد وصنوفه لله تعالى ، كما جاء في الحديث :

« اللهم لك الحمد كله ، ولك الملك كله ، وبيدك الخير كله وإليك يرجع الأمر كله »^(٢).

وفي الآية : يخبر تعالى أن جميع أنواع المحامد ، من صفات الجلال والكمال ، هي له وحده دون من سواه ، إذ هو رب كل شيء وحالقه ومالكه ، وأن علينا أن نحمده ونثنى عليه بذلك^(٣). قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما من أحد أحب إليه الحمد من الله تعالى ، حتى إنه حمد نفسه »^(٤).

(١) رواه الترمذي .

(٢) مختصر ابن كثير : ١ / ٢٠ - ٢١ .

والحديث رواه ابن ماجه عن أس .

(٣) لأن اللفظ خير ، ومعناه الإنشاء ، أي قولوا : الحمد لله

(٤) أسير التفاسير : ١ / ١٣ .

﴿ رب العالمين ﴾ .

الرب : هو السيد المطاع ، والمرئى الذي يسوس مربيته وبرئيه .

و (الرب) هو المالك المتصرف المصلح ، المعبود سبحانه ، ولا تستعمل (الرب) لغير الله إلا بالإصافة ، تقول : « رب الدار » . أما « الرب » فلا يقال إلا لله عز وجل .

﴿ العالمين ﴾ جمع عالم ، وهم أصناف المخلوقات في الأرض وفي السموات .

وكل ما سوى الله عالم ، وهو جمع لا واحد له من لفظه^(١) .

قال القرطبي :

العالم : مشتق من العلامة ؛ لأنه دالٌّ على وجود خالقه وصانعه ، وعلى وحدانيته جل وعلا .

قال ابن المعتز ، رحمه الله تعالى :

فيا عجباً كيف يُعصى الإلـ

له أم كيف يجحده الجاحد

(١) مختصر ابن كثير : ١ / ٢١ . بتصرف .

وفي كل شيء له آية

تدل على أنه واحد

﴿ الرحمن الرحيم ﴾ .

﴿ الرحمن ﴾ أي واسع الرحمة ، وهي رحمة عامة ، يرحم بها عباده جميعاً ، ولا يوصف بالرحمن إلا الله عز وجل ، و﴿ الرحيم ﴾ أي دائم الرحمة وعظيم الرحمة ، وهي رحمة خاصة ، يرحم الله بها عباده المؤمنين به سبحانه : ﴿ وكان بالمؤمنين رحيماً ﴾^(١) .

﴿ مالك يوم الدين ﴾ .

المالك : المتصرف في الدنيا والآخرة كيف يشاء ، ﴿ يوم الدين ﴾ أي يوم الجزاء والحساب لجميع الخلائق ، يدينهم بأعمالهم ؛ إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، إلا من عفا عنه .

قال ابن عباس رضي الله عنهما :

﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ .

﴿ إياك نعبد ﴾ : أي إياك نطيع ، مع الدل والخصوع ،

(١) سورة الأعراب : ٤٣ .

والحب والتعظيم . ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين ﴾ أي أعنّا على طاعتك يا الله ، على الدوام .

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ .

أي أرشدنا وَوَقَّفْنَا لِلنَّبِيَّاتِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ ، الذي لا اعوجاج فيه ، وهو الإسلام ، قال ابن الحنفية : هو دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره . وقد فسر الصراط بالإسلام^(١) .

﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ .

مفسر للصراط المستقيم ، والذين أنعمت عليهم هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّدِيقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾^(٢) ، ﴿ وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾^(٣) .

﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ .

﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ هم الذين أعرضوا عن الحق بعد العلم به حسداً وعناداً ، وهم اليهود . ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ يعود بالله من الضلال ، وهم العبدون عن الصواب حيرةً وجهلاً ، فعبدوا الله بما لم يشرعه ، وهم البصري وأشباههم من يعبد الله على جهل .

ويستحب لمن يقرأ الفاتحة أن يقول بعدها : آمين .

ومعناه : اللهم استجب ؛ لما روي عن أبي هريرة أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا تلا ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ قال : آمين . حتى يسمع من يليه من الصف الأول^(١) .

○ قصة طريقة ظريفة :

اشتملت سورة الحمد على آية ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ التي تدل على أن الله تبارك وتعالى هو السيد الملك ، المتصرف للإصلاح ، والمربي للخلق ، أو للناس خاصة ، كما فسرهما

(١) رواه أبو داود ، وابن ماجه وزاد فيه : (فيرتج بها المسجد)

مختصر ابن كثير : ٢٥ / ١ .

(١) مختصر ابن كثير : ٢٢ / ١ ، ٢٣ . (٢) سورة الحديد : ١٩ .

(٣) سورة النساء : ٦٩ .

جعفر الصادق رضي الله عنه ، وهو رب الناس . ﴿ قل أعوذ
 برب الناس ﴾ فهو المتصرف للإصلاح بالناس جميعاً ، وليس
 كما يزعّم بعض فرق الكتاب بأنه ربهم وحدهم ، وأنهم أبناء الله
 وأحباؤه ﴿ وقالت اليهود نحس أبناء الله وأحباؤه ﴾^(١) .
 فرد عليهم رب العالمين مؤكداً دعواهم : ﴿ بل أنتم بشر
 من خلق ﴾ .

فالله لم يتخذ أبناء ، سبحانه وتقدسست أسماؤه ، ولكنه رب
 مالك متصرف للعالمين^(٢) ، وهو حالقهم أجمعين ، وقد رويت
 قصة طريفة لأحد ملوك المسلمين السابقين ؛ أنه أصدر أمراً
 يحصر غير المسلمين في مملكته في ناحية بعيدة من المدن ، أو
 طردهم منها ، باعتبارهم كفاراً مفسدين لأخلاق المسلمين ،
 فسمع أحد علماء الآخرة بالمملكة هذا الخبر ، فحاء إلى الملك ،
 وقرأ عليه سورة الفاتحة هكذا :

(١) سورة المائدة : ١٨

(٢) كل ما سوى الله عالم ، وهو جمع لا واحد له من لفظه . والعوالم
 أصناف المخلوقات في الأرض والسموات ؛ كعالم الملائكة ، وعالم
 الإنس وعالم الجن وعالم الحيوان ..

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ فقال الملك :
 ﴿ رب العالمين ﴾ يا شيخ ، بارك الله لكم . فقال الشيخ
 المخلص لله نصيحته : إذن كيف تصدر أمراً بطرد غير المسلمين
 من بلاد رب العالمين ؟

فشكر الملك للشيخ الكريم حُسن تصرفه في إخلاص نصيحته ،
 وكان ملكاً عادلاً يحترم العلماء ، ويسمع منهم نصائحهم ،
 فرجع عن ذلك الأمر والله الحمد . وبأيت حكام المسلمين
 اليوم يسمعون للعلماء الريانيين المخلصين لله ودينه ، فيعم الرخاء ،
 وينحسر البلاء ، ويتشتر الخير ، ويقتبض الشر .

نسأل الله السلامة والعافية لنا ولكم .

* * *

□ طوائف الناس □

الناس حسب معتقداتهم ثلاث طوائف :

- (١) طائفة (المؤمنين) .
- (٢) طائفة (الكافرون) .
- (٣) طائفة (المنافقون) .

وسنعرض ونبين خصائص كل طائفة من هذه الطوائف بالتفصيل بإذن الله ، آخذين صفاتهم من أول سورة البقرة .



□ (١) المؤمنون □

ما هو الإيمان ؟

الإيمان في اللغة يُطلق على التصديق المحض ، والإيمان المطلوب هو اعتقاد وقول وعمل ، قال الإمامان الجليلان أحمد والشافعي رضي الله عنهما : الأئمة أجمعوا على أن :
الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص .

قلت : يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، لا يزني الراي حين يرني وهو مؤمن . حديث صحيح . والمؤمنون المتقون تأتي صفتهم في مطلع سورة البقرة العظيمة^(١) الذي فيه :
بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الم ﴾ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴿

(١) انظر كتابا ، القواعد الذهبية ، وفيه مسائل سورة البقرة : ٨٨ - ٩٥ .

﴿الم﴾ تقرأ هكذا :

ألف لام مي . الله أعلم بمراذه بهذه الحروف .

﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ يبين الله تبارك وتعالى أن القرآن العظيم هو الكتاب المعجز ، الذي لا شك أنه من عند الله تعالى ، فهو حق لا ريب فيه ، نزل بالحق من عند الحق سبحانه ، وهو هدى في مهابته وكلماته وآياته ، وهذا الهدى هو الذي يستفاد به المتقون ، وهم المؤمنون الذين يتقون الشرك ، ويعملون بالطاعة ، ويطيعون عليها ، وهم الذين خلقهم الله على المطهرة ، واتقوا ما يفسدها ويجول بينها وبين إشراق الحق .

﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ وهم الذين يؤمنون بما غاب عن البصر ولم يعص عن البصيرة والحواس ، كل ما في الكون من الإبداع والتدبير لما فيه من المخلوقات ، وهؤلاء المؤمنون بعظمة الله ، لا يمنعونهم العناد والعصية الماسدة لما ورثوه عن آباءهم من قبل ، أن يتقبلوا الحق ويؤمنوا به^(١) .

﴿ويقومون الصلاة وما رزقناهم﴾ المتقون يعلمون أن الله

فرض عليهم الصلاة ، فهم يداومون على أدائها في أوقاتها بجماعة ، بأركانها وواجباتها وشروطها ، مع الحشوع والطمأنينة ، فهي الركن الفاصل بين الإيمان والكفر ، ولحديث : « بين العبد والكفر والشرك ترك الصلاة » . رواه مسلم رحمه الله تعالى

﴿وما رزقناهم﴾ لغت نظر للمؤمنين أنهم ينفقون من بورك الله لهم ، وأن المال الذي بين أيديهم هو مال الله ، فيقومون بإتفاق مال الله على عباد الله بنفوس مطمئنة هاتئة ؛ لأنهم يعرفون ما لهم عند الله من الجراء على هذا الإتفاق ، حيث الدرهم بسبعمائة درهم ، ويضاعف الله ذلك أضعافاً كثيرة ، وهم بهذا الإتفاق يربطون أنفسهم بالآخرة الباقية ، ويتجاهلون عن الدنيا الفانية ، كما أنهم ينفقون مما آتاهم الله من الجاه والعلم ، وغيره مما آتاهم الله وأحسن إليهم بررقه لهم من كل خير نافع لهم ، والإتفاق معناه الإحسان إلى المخلوقين بالنفع المتعدي عليهم ، وأولى الناس بالإتفاق هم القرابات والأهلون والمالك ثم الأجانب^(٢) .

(١) مختصر ابن كثير : ١ / ٣٠ . بتصرف .

(١) تفسير القرآن : الشيخ شنتوت : ٦٥

هؤلاء المتقون المنفقون هم الذين يؤمنون بيوم القيامة ، وهو يوم الحساب والعقاب ، إيماناً يقينياً كأنهم يرونه رأي العين الآن ، كل هؤلاء الناس الموصوفون بهذه الصفات على هدى ونور وبصيرة من ربهم ، بما فتح الله عليهم من العلم والمعرفة والإيمان الصادق ، هؤلاء هم ﴿ المفلحون ﴾ أي المائزون بسعادة الدنيا والآخرة . وصفة المتقين موجودة في التوراة ، قال تبارك وتعالى : ﴿ ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياءً وذكرًا للمتقين الذين يحشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون ﴾^(١).

مشفقون : خائفون .

والفرقان هنا هو التوراة المنزلة على موسى من عند الله ، وغير المُحرّف والمُبدّل (والموجود الآن عند اليهود مُحَرّف ومبدّل) . هو فرقان - في زمن وعهد موسى عليه السلام - أي يفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام ، أما الآن فالقرآن هو الفرقان ، هيأبها الإنسان من أهل الكتاب ممن يريد الآخرة

(١) سورة الأنبياء : ٤٨ .

الباقية على العاجلة القانية ، عليك بالإيمان بالرسل الذين أرسلهم الله : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون ﴾^(٢).

﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾^(٣)

.. وما أمروا - أي اليهود والنصارى - إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴿ حنفاء ﴾ أي مائلين عن دين الشرك إلى دين التوحيد وهو الإسلام ، الذي هو دين القيمة : أي دين الملة المستقيمة الموصلة العبد إلى رضا الرب وجنت الخلد ، بعد إجتائه من العذاب والغضب^(٣).

﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم

(٢) سورة البقرة : ١٣٦ .

(٣) سورة البقرة : ١٧٧ .

على صلاتهم يحافظون ﴿١﴾.

أي هذا القرآن كتاب مبارك (خير له لا ينهي) ونفعه عظيم لا يقل أو يذهب، وهو مصدق الكتب السابقة؛ كالتوراة والإنجيل، أنزلنا هذا القرآن؛ لماذا، ليؤمنوا به ولينذر أم القرى - أي أهل مكة - وغيرهم، لينذرهم عاقبة الكفر والضلال، وإياها الخسران والهلاك. ثم أخبر سبحانه بأن الذين يؤمنون بالآخرة؛ أي بالحياة الآخرة والثواب والعقاب فيها، يؤمنون بهذا القرآن. ﴿وهم على صلاتهم يحافظون﴾؛ أي يؤدونها كاملة، ومع الجماعة، وفي خشوع وخضوع وتدبر. والمؤمنون لهم أوصاف حميلة وصفهم بها ربهم مثل: المتقون، المفلحون، الفائزون، الصالحون، المحسنون، التوابون، المتطهرون، الأبرار، الأخيار...

* * *

□ (٢) الكافرون □

الكافر هو الجاحد المعاند، الذي يسدّ أذنيه عن سماع الحق، ويغمض عييه عن رؤية الحق، ويصّر على الباطل، ويستكبر كما استكبر صاحبه إبليس، عياداً بالله.

ونأتي صفة الكافرين في سورة البقرة بعد صفة المؤمنين المتقين، حيث يقول سبحانه:

﴿إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾^(١).

قوله: ﴿لا يؤمنون﴾؛ أي لا يؤمنون بما آمن به المؤمنون المذكورون قبل هذه الآية، وهي الآيات الخمس الأولى من السورة، وهؤلاء الناس الذين فسدت فطرتهم، وتعبدوا البعد عن الهداية لظلام بصيرتهم وعدم استعدادهم لتوحي الحق، فلم يعرفوا الله، وعاندوا وكابروا، ولحقوا في العناد، وأخذوا

(١) سورة البقرة: ٦، ٧.

(١) سورة الأنعام: ٩٢.

يحاربون الله ورسوله والمتقين ، في السر والعلانية ، أولئك هم الكافرون الذين لا يؤمنون ، فإنذاره لهم وعدمه مستويان في عدم انتفاعهم .

وعن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، في قوله تبارك وتعالى : ﴿ إن الذين كفروا ﴾ . قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحرص أن يؤمن جميع الناس ، ويتابعوه على الهدى ، فأخبره سبحانه أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة في الذكر الأول ، ولا بضل إلا من سبق له من الله الشقاوة في الذكر الأول^(١) .

وقد وصف الله الكافرين بأوصاف اكتسبوها هم لأنفسهم ، مثل :

الضالون ، الفاسقون ، الظالمون ، الخاسرون ، المحرمون ، الخبيثون ، الأشرار

﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ﴾ .

(١) مختصر ابن كثير : ١ / ٣١ .

﴿ ختم الله ﴾ ؛ أي طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ؛ أي عاقبهم بمنع الهداية عنهم .

﴿ غشاوة ﴾ ، أي غطاء وستر ، فهم لا يسمعون سماع خير ، ولا يبصرون إبصار هدى .

قال ابن جرير رحمه الله :

والحق عندي في ذلك ما صحَّ بطريقه الخير عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن المؤمن إذا أذنب ذنبًا ، كانت نكته سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستعجب ، صُقل قلبه ، وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه ، فذاك الران ، قال الله تعالى : ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ »^(١) .

ومعنى استعجب : أي رجع عن الإساءة وطلب الرضا . أخبرنا رسول الهدى أن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أعقتها ، وإذا أغلقتها أتاها حيثئذ الختم من قبل الله والطبع ، فلا يكون للإيمان إليها مسلك ، ولا للكفر عنها غلص ، فذلك هو الختم والطبع

(١) الحديث رواه الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه . وهو صحيح .

الذي ذكره الله عز وجل في قوله سبحانه : ﴿ خُتِمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ... ﴾^(١) الآية .

* * *

□ مثال عقلي مادي □ على ختم قلب وسفع وبصر الكافر

لو وضعنا إنساناً في غرفة محكمة الإغلاق من جميع أبوابها ونوافذها وهذا شبيه بقلب الكافر والمنافق - فهل يصل إلى هذه الغرفة بصيص نور ؟

وهل يرى الإنسان الذي بداخلها أي نور ؟

وهل يسمع هذا الإنسان أي شيء يدور حول الغرفة ؟

وهل يرى هذا الإنسان أي شيء موجود ، خارج أو داخل الغرفة ؟

الإجابات على هذه الاستفسارات هي : لا . وهكذا قلب الكافر والمنافق ، عياداً بالله .

فأهل الكتاب من الذين كفروا برسولهم ، وهم اليهود والنصارى^(١) قلوبهم في أكنة ، وهي مغلقة لا يصل إليها الخير ، وهم الكفار حقاً ؛ لأنهم يرفعون أنهم آمنوا بموسى

(١) ستأتي صفة المنافقين بعد هذا الموضوع بإذن الله .

وعيسى عليهما السلام ، وهم كاذبون ؛ لأن الدين آمنوا بموسى وعيسى هم مسلمون ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله ولو فرصا جدلاً أن اليهود والنصارى آمنوا بأنبيائهم أو بعض أنبيائهم ، وكفروا بواحد منهم قهراً الكفار حقاً : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً ﴾^(١).

﴿ مهيناً ﴾ أي ذا إهانة في الدنيا والآخرة .

ولقد فضح الله اليهود والنصارى بقوله : ﴿ ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً ﴾ .

﴿ سبيلاً ﴾ أي طريقاً يوصلهم إلى مذهبهم الفاسد ، الذي هم عليه وآباؤهم قديماً وحديثاً ، لذلك وصفهم ربهم بالكافرين حقاً ، الكفر الحقيقي ، ولذا فإنه وعدهم بالعذاب الذي فيه الإهانة والمذلة لهم دنياً وأخرى ، حيث يلعنهم الله

والمؤمنون هي الدنيا وفي الآخرة ، فهم ملعونون أدلاء ولو كانوا أغنياء : ﴿ إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من بينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾^(٢).

* * *

□ (٣) المنافقون □

الطائفة الثالثة التي تحدثت عنها سورة البقرة ، هم المنافقون ، وهم أعداء الأمة الداخلون .

و « المنافق » هو الذي يُظهر الإيمان ويُطن الكفر .

و « النفاق » هو إظهار الخير وإسرار الشر .

و « النفاق » اعتقادي وعملي .

و « النفاق الاعتقادي » : هو الذي يخلد صاحبه في النار ،

بل هو في أسفل جهنم : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾^(١) . والدرك : هو القعر الأسفل ، فهم في قعر جهنم ، والكافرون أحسن دركة مِنْهُمْ ، فَهُمْ فَوْقَهُمْ فِي

درجات جهنم ، وصفهم ربهم بقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾^(٢) .

فالمنافقون فسد باطنهم كالكافرين ، ولكنهم ظهروا بين

(١) سورة النساء : ١٤٥ .

(٢) سورة البقرة : ٨ ، ٩ .

المسلمين كالمسلمين ، وقد ذكرهم الله في كثير من السور القرآنية المحكمة ؛ كسورة « النساء » وسورة « براءة » وسورة « النور » وسورة « المنافقون » وسورة « الحشر » وغيرها .

وفي سورة الحشر وصفهم الله بأنهم إخوان الكافرين : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَنُخْرِجَنَّ مَعَكُمْ ﴾^(١) .

وقد نبه الله سبحانه وتعالى على صفات المنافقين ؛ لئلا يعتز المؤمنون بظواهرهم ، فيقع بذلك فساد عريض من عدم الاحتراز منهم ، ومن اعتقاد إيمانهم وهم من الكفار البالغين من الكفر أشدّه ، وهذا من المخدورات الكبار أن يُظنّ بأهل الفجور خير^(٢) .

هؤلاء يقولون بألسنتهم : لا إله إلا الله ، ولكن يُضمرون الكفر في قلوبهم ، يخادعون الله والمؤمنين بشهاداتهم وصلواتهم وصيامهم مع المسلمين ، ولكنهم في الحقيقة ما يخدعون إلا

(١) سورة الحشر : ١١ . (٢) مختصر ابن كثير : ١ / ٣٣ .

أنفسهم ؛ لأن عاقبة المهادنة تعود على صاحبها ، كما أن السيئة لا يتولد عنها إلا سيئة مثلها .

كما أخطر تعالى أن في قلوبهم مرضًا ، وهو الشك والنفاق والخوف ﴿ يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم ﴾^(١) . وأنه تعالى زادهم مرضًا عقوبة لهم في الدنيا ، وتوعدهم بالعذاب الأليم في الآخرة ، بسبب كذبهم وكفرهم^(٢) .

ومن صفاتهم السيئة . ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾^(٣) .

ولقد وُجدت طوائف المنافقين في كل زمان ومكان ، وفي جميع عصور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فالذين أسلموا من بني إسرائيل على عهد موسى عليه الصلاة والسلام ، وآمروا به ، وخرجوا معه إلى الأرض المقدسة^(٤) ، فلما وصلوا قريبًا

منها أمرهم موسى بدخولها وقتال الكفار ؛ ليسكنوا هم فيها - أي المنافقون منهم أن يقاتلوا في سبيل الله ، حتى قالوا لموسى : ﴿ فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ﴾^(١) .

وفي عهد عيسى عليه الصلاة والسلام بافق بعض من أسلم وآمن معه ، فمنهم من قال : إن عيسى ابن الله . ومنهم فرقة منافقة أخرى قالوا : إن عيسى هو الله . أشركوا وكفروا بعد إيمانهم : ﴿ ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾^(٢) . هذه صفة المنافقين ؛ يكفرون بعد الإيمان ، عياذا بالله .

وفي عهد نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان للمنافقين طائفة كبيرة العدد والعدة ، حيث كان لهم جيش قوامه خمسمائة مقاتل ، يُسمى جيش الخشنة ، بزعامه وقيادة رأس المنافقين : عبد الله بن أبيّ ﴿ ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق ﴾^(٣) . والمنافقون يُعذِّبهم الله مرتين

(٢) سورة المنافقون : ٣ .

(١) سورة المائدة : ٢٤ .

(٢) سورة براءة : ١٠١ .

(١) سورة المنافقون : ٤ . (٢) أسير التفاسير : ١ / ٢٢ .

(٣) سورة البقرة : ١١ ، ١٢ . (٤) أرض فلسطين .

ثم يُردون إلى عذاب عظيم .

وما أكثر أهل النفاق والشقاق في أيامنا هذه ، فهم متواجلون في كل وادٍ وناحٍ ، وعلى رأس كل مركز مرموق ، وكل منصب محسوب ، ولهم جيوش ودول وحكومات تُدافع عنهم ، فهم البطانة المقربة ، وهم الأعوان والشرقاء عند كثير من الدول ، وهم المسيطرون على وسائل الإعلام المختلفة ، يكتبون وينشرون . ﴿ ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾^(١) . ﴿ ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾^(٢) .

لذا فإننا من باب النصيحة الدينية نقول لهم كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً ﴾^(٣) . هنا إذا ماتوا على ذلك فلن ينفعهم كبراًؤهم . ﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً ﴾^(٤) ؛ أي إذا تمسكوا بدينهم ، وتركوا الرياء والشرك

(١) سورة الأنعام : ٣٠ .

(٢) سورة المنافقون : ٨ .

(٣) سورة النساء : ١٤٥ .

(٤) سورة النساء : ١٤٦ .

والنفاق ، وأخلصوا عملهم لله ، فهم مؤمنون ، وسيُحشرون مع المؤمنين ويؤتيهم أجراً عظيماً بَدَل العذاب العظيم .

فيا علماء الدنيا ، ويا كتاب الدنيا ، ويا وزراء الدنيا ، ويا أمراء الدنيا : توبوا إلى الله ، وأخلصوا دينكم لله ، واعملوا للآخرة الباقية ، لا للدنيا الفانية ، فأنتم إلى الموت عدداً صائرون ، وعند ربكم محاسبون ، وبأعمالكم مجزيون . ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾^(١) .

* * *

(١) سورة الشعراء : ٢٢٧ .

□ الإسلام دين الرسل جميعهم □

أرسل الله سبحانه رسله بالدين الإسلامي . ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾^(١).

والإسلام : هو الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والخلوص من الشرك .

ولا يقبل الله من أحد يوم القيامة غير الإسلام : ﴿ ومن يتبع غير الإسلام دينًا فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾^(٢). وقد فطر الله الناس على فطرة الإسلام ، فعبّد الله في الأرض وحده لا شريك له ، إلى أن حاءت الشياطين . فاجتالت الناس عن دينهم ، وجعلوهم يعبدون الأوثان . فأرسل الله للناس نوحًا عليه الصلاة والسلام ؛ ليردهم إلى عبادة الله ، ثم بعث أنبياءه ورسله متتابعين ؛ لإرشاد الناس وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم ، قال تعالى وتقدس : ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل

(١) سورة آل عمران : ١٩ .

(٢) سورة آل عمران : ٨٥ .

معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم اليات بغيًا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾^(١).

﴿ كان الناس أمة واحدة ﴾ ؛ أي على الإسلام والتوحيد ، قبل وجود الشرك الذي طهر فيهم قبل بعثة نوح عليه السلام .

﴿ فاختلفوا ﴾ ؛ أي اختلفوا بين مؤمن وكافر ، وموحد ومشرك ، وكذبوا رسلهم بدافع الحقد والحسد وحب الرئاسة والمصالح الدنيوية ، فاليهود أول المحتسمين على أنبيائهم ، وعلى التوراة التي جاءهم موسى بها من عند ربهم ، فكذبوا كما كذبوا الأنبياء السابقين ، وقاتلوهم وقتلوا الكثيرين منهم ، عليهم لعائن الله ، واختلف النصارى على عيسى وكتابه الذي جاء به من عند ربه ، وحاولوا صلبه وقتله ، فألقى الله شبهه على رئيس شرطة الملك الكافر ، فصلبوه وقتلوه ، ورفع الله عيسى إليه . والذي حمل اليهود والنصارى على ذلك كله هو الفساد

(١) سورة البقرة : ٢١٣ .

في الأرض ، والحقد والحسد من نفوسهم الشريرة ، عيادًا بالله .
ومما ضيَّعه أهل الكتاب إبدال صيام شهر رمضان بأيام من
عندهم ، وبعضهم أبدله بالصيام عن اللحوم إلى النيات ،
كذلك ضيَّع اليهود والنصارى الصلاة المفروضة عليهم ،
وأبدلوها بحركات وتراسيم^(١) يقيمونها في الكنائس والشوارع ،
لا معنى لها . كما أن اليهود والنصارى عطلُّوا فريضة الزكاة
في أموالهم ، وبالعكس أبدلوها بمصيبة الرِّبَا الذي تعاملوا به
فرادى سابقًا وأنشئوا البوك الربويَّة لاحقًا ، ليأكلوا أموال
الناس بالباطل .

كما أن أهل الكتاب اختلفوا في القبلة ، فاتخذوا بيت
المقدس^(٢) قبلة لهم ، ﴿ فهدى الله الذين آمنوا ﴾ فهدانا الله
نحن المسلمين لما اختلفوا فيه ، فأقمنا الصلوات المفروضة بأركانها
وشروطها ، وسننها ، وهدانا الله لصيام شهر رمضان كما فرضه الله

(١) يصلون وهم يمشون ، ويتكلمون في الصلاة ، وبعضهم يركع
فقط ، وبعضهم يسجد فقط .

(٢) بيت المقدس . هي مدينة القدس عاصمة دولة فلسطين المسلمة
وعم أف اليهود .

تعالى ؛ وهو الامتناع عن الطعام والشراب بأنواعه ، والامتناع
عن الجماع نهارًا من الفجر الصادق إلى المغرب ، كما هدانا الله
إلى القبلة ، قبله إبراهيم (الكعبة المشرفة) ، وهدانا الله ليوم
الجمعة عيدنا الأسبوعي ، واتخذ اليهود عيدهم يوم السبت ،
والنصارى عيدهم يوم الأحد ، وقد جمع الله في آية محكمة
أنه شرع لجميع الأنبياء والرسل دينًا واحدًا ، فقال تعالى :
﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك
وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين
ولا تفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يحجي
إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب وما تفرقوا إلا من بعد
ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى
أجل مسمى لقضي بينهم وإن الذين أوتوا الكتاب من بعدهم
لفي شك منه مريب ﴾^(١) .

﴿ شرع لكم ﴾ أي بين لكم أيها الناس ، وسن لكم
طريقًا واضحًا تسرون على نهجه ، وهو الطريق الموصل إلى

(١) سورة الشورى : ١٣ ، ١٤ .

التوحيد الذي أُوْسِلَ به رسله ؛ من فوج إلى محمد ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ففي الحديث الصحيح : « نحس معاشر الأنبياء أساء عُلَّات ، وديننا واحد » . عُلَّات : أمهات شتى .

﴿ أقيموا الدين ﴾ أمر أنبياءه بأن يحافظوا على دين التوحيد قائماً ، ولا يفرقوا فيه ؛ فعملوا ببعضه وتركوا بعضه الآخر ؛ لأن التفرق في الدين يُسَبِّبُ تضييعه ، وهذا ما حصل لأهل الكتاب فعلاً ، فإنهم عندما عملوا ببعض ما جاء في التوراة والإنجيل ، وتركوا بعض ما جاء فيهما ، ضيعوا دينهم السماوي الإلهي ، وأبدلوه بدين أرضي بشري . اليهود سَمُّوا دينهم الدين اليهودي ، فخرجوا عن دين الإسلام . والنصارى سَمُّوا دينهم الدين المسيحي ، فخرجوا عن دين الله الواحد الأحد كذلك ، فَسَمَّاهُم الضَّالِّين . وسمى الله اليهود المغضوب عليهم إلى يوم الدين . وهما في النار سواء ﴿ إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم أولئك هم شر البرية ﴾ (١)؛

أي شر الخليقة .

﴿ كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ﴾ ؛ أي عظم وشق على المشركين ما تدعوهم إليه يا محمد ؛ من التوحيد (لا إله إلا الله) ، وترك عبادة الأوثان .

﴿ الله يحبني إليه من يشاء ﴾ ؛ أي أن الله يختار ويصطفى للإيمان به من عباده الذين يستحقون الهداية ، فيرجعون إليه ، ويقبلون على طاعته جل وعلا .

﴿ وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم ﴾ ؛ أي وما تفرق العرب واليهود والنصارى واختلفوا في دين الله ، فآمن البعض وكفر البعض الآخر ، وصاروا شيعاً وأحزاباً ، إلا من بعد ما جاءهم العلم الشرعي الصحيح ، الذي جاء به القرآن العظيم ونبيه الكريم ، صلى الله عليه وآله وسلم .

﴿ بغيا بينهم ﴾ ؛ أي ما حملهم على ذلك إلا البغي والحسد ، الذي تمتلئ به نفوسهم الخبيثة وأفكارهم الفاسدة .

﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ ؛ أي ولولا وعْد الله لإمهالهم إلى يوم القيامة ؛ لحكم بينهم بإهلاك الكافرين المبطلين ، وإنجاء المؤمنين المحققين ، في الدنيا قبل الآخرة .

﴿ وإن الذين أورثوا الكتاب ﴾ وهم اليهود والنصارى ؛
من كان منهم في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكذلك
العرب المكذبون للحق .

﴿ لفي شك ﴾ ؛ أي من القرآن العظيم والنبي الكريم والدين
الإسلامي الحنيف .

﴿ غريب ﴾ ؛ أي موقع في الريبة والشك والخيرة ، وهذا
شأن الكافر ، فهو في حيرة ومحبط في حياته كلها ، عيادًا بالله .
وهذا بعكس المؤمن المطمئن ، المستريح المتعم ، دنيا وأخرى

* * *

□ أول الأنبياء والرسل نوح عليه السلام □ نبي مسلم ويدعو للإسلام

قال رب العالمين ، الذي أرسل رسوله بدين الإسلام أجمعين :
﴿ واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يقوم إن كان كبر
عليكم مقامي وتذكيري بأيت الله فعلى الله توكلت فأجمعوا
أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي
ولا تنظرون فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري
إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ (١) .

يقول الله للرسول الكريم : أخبرهم - كفار مكة - طرقًا
من قصة نوح مع قومه المشركين ، الذين كذبوه كما يكذبك
مشركو العرب ؛ لأن حالهم واحد ، أخبرهم كيف أغرقهم الله
بعدما كذبوه ، ليحذر هؤلاء أن يصيبهم مثلما أصاب قوم نوح
عليه السلام من الفرق والهلاك .

وقد قال لهم نوح من قبل هلاكهم : يا قوم ، إن كان

عظم عليكم مقامي بيسكم - تضايقتم مني - فافعلوا ما تقدرُونَ عليه ، وأنا متوكل على الله ، ولا أبالي بكم ، ولا أحافكم ؛ لأنكم لا تستطيعون شيئاً ؛ لأنكم على باطل وأنا على حق ، والله معي ، هو ناصري ومؤيدي عليكم ، وأنا لا أسألكم على نصيحتي بكم أجراً ، والله هو الذي يُعطيني الأجر والثواب على دعوتي .

وهو الذي أمرني أن أكون من المسلمين ، أي الترم به وامثل ما أمرت به من الإسلام لله تبارك وتعالى ، وأن أدعوكم للإسلام بالإسلام ، والتمسك به ، فهو ديني الذي يحشي الله به .

* * *

□ أبونا أبو الأنبياء إبراهيم الخليل □
نبي مسلم وهو الذي سمّانا بالمسلمين

في خبر إبراهيم عليه الصلاة والسلام :

قال عزّ من قائل : ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم نعم المولى ونعم النصير ﴾^(١)

﴿ وجاهدوا في الله ﴾ ، أي أفرعوا جهدكم في قتال الكفار بأموالكم وأنفسكم وألستكم .

﴿ هو اجتباكم ﴾ ، أي أن الله اختاركم واصطفاكم أيها المؤمنون على سائر الأمم ، وفضّلكم وشرفكم بحمل الدعوة إلى الدين الإسلامي .

﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ ؛ أي ما جعل عليكم من ضيق ومشقة ، وتكليف ما تطيقونه ويعسر عليكم ، فجعل التوبة لكل مذنب ، ورخص للمسافر في قصر الصلاة ، ورخص للمريض والخائف بالصلاة في البيت ، وبالتيمم عند عدم الماء ، وهكذا ، والحمد لله على فضله .

﴿ ملة أبيكم ﴾ ؛ أي الزموا ملة أبيكم ، أي دين أبيكم إبراهيم ، وهو دين الإسلام .

﴿ هو سماكم المسلمين من قبل ﴾ ؛ قال ابن أسلم : ﴿ هو سماكم المسلمين من قبل ﴾ ؛ يعني إبراهيم ؛ وذلك لقوله : ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ﴾ ^(١) . وهذا في سورة البقرة ، يخبرنا جل وعلا خير إبراهيم وولده إسماعيل ، وهما ينيان الكعبة المشرفة : ﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ﴾ ^(٢) . وفيه مشروعية الدعاء أثناء القيام

(١) مختصر ابن كثير : ٢ / ٥٥٧ .

(٢) سورة البقرة : ١٢٧ ، ١٢٨ .

بالعمل الصالح .

وفي إبراهيم عليه السلام أيضًا : ﴿ إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ ^(١) .

يخبر الله تعالى أن إبراهيم استجاب لأمر ربه بالإسلام ولم يتردد ، ووصى إبراهيم بنيه بأن يتمسكوا بهذه الملة ، وهي الإسلام ، القائم على التوحيد ، كما وصى بها يعقوب بنيه ، وقال لهم : يا بني إن الله اختار لكم الدين الإسلامي ، فلا تموتن إلا على الإسلام . وهنا إشارة إلى استحباب وصية المريض لأبنائه وأفراد أسرته ، ومن تحت ولايته ، بأن يتمسكوا بالإسلام ، ويموتوا عليه ، اللهم أمثنا عليه .

* * *

١٤

١٥

(١) سورة البقرة : ١٣١ ، ١٣٢ .

□ يوسف عليه السلام واحد من أنبياء □ بني إسرائيل هو نبي مسلم ويدعو للإسلام

النبي المسلم يوسف عليه الصلاة والسلام يدعو إلى الإسلام دين التوحيد وهو في السجن ، حيث قال :

﴿ يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ^(١) .

دعا يوسف صاحبيه في السجن إلى عبادة الله وحده ، وترك عبادة الأصنام والكواكب والحيوانات ^(٢) ، وقال لهم منكراً ذلك : هؤلاء خير أم الله الواحد في ذاته وصفاته ، القهار لكل ما عداه من سائر مخلوقاته ، والذي ذل كل شيء لعرّ جلاله وعظمته سلطانه !

﴿ ما تعبدون من دونه ﴾ ؛ أي من دون الله إلا أسماء

(١) سورة يوسف : ٣٩ ، ٤٠ .

(٢) حتى الآن يعبد المندوس البقر في الهند ، عباداً بالله تعالى .

سميتموها آلهة ، وليست بآلهة ، بل هي أوثان لا تضر ولا تنفع .

﴿ إن الحكم إلا لله ﴾ ؛ أي ما الحكم إلا لله ^(١) ، فهو الذي أمر بعبادته وحده . ﴿ ذلك الدين القيم ﴾ ؛ أي هذا الذي أدعوكم إليه ، من توحيد الله ، وإخلاص العمل له ، هو الدين القويم والصراط المستقيم ، وهو الإسلام العظيم .

﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ لا يعلمون بأن الله هو الخالق الرازق المدير ، فلهذا كان أكثرهم مشركين .

وبعد أن خلّص الله يوسف من السجن ، وآتاه حكم مصر ، دعا ربه عز وجل أن يتوفاه مسلماً ، فقال :

﴿ رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليّ في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين ^(٢) .

فقد دعا بهذا الدعاء حيث تاقّت نفسه إلى مجاورة آبائه

(١) وكذلك ما الحكم بكتاب الله وهو القرآن .

(٢) سورة يوسف : ١٠١ .

الأخيار ؛ إبراهيم وإسحق ويعقوب ، وكذلك إخواته من
السيب والمرسلين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ويؤخذ من دعاء يوسف عليه السلام :

أنه يحور سؤال الموت إذا كان شوقاً إلى الله ، وشوقاً
وحنيئاً إلى الجنة ، وذلك في حالة الصحة والسعادة والعسى ،
كما كان ليوسف ، وليس هرباً من الحياة لضرّ نزل بالمسلم ؛
لما ثبت في الصحيحين : « لا يتمنين أحدكم الموت لضرّ
نزل ؛ إمّا محسباً فيزداد ، أو مسيئاً فلعله يستعيب ، ولكن
ليقل : اللهم أحبي ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا
كانت الوفاة خيراً لي » .

أما إذا كانت الفتنة في الدين ، فيجوز سؤال الموت كما
طلب سحرة فرعون الموت ، بعد أن أسلموا وخافوا أن يفتنهم
فرعون عن دينهم : ﴿ ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا
مسلمين ﴾^(١) . وقالت مريم عليها السلام : ﴿ يا ليتني مت
قبل هذا وكنت نسياً منسياً ﴾^(٢) لما علمت أن الناس يقذرونها

(١) سورة الأعراف : ١٢٦ .

(٢) سورة مريم : ٢٣ .

بالفاحشة ؛ لأنها لم تكن ذات زوج ، وحمت ووضعت .
وقال عليّ ، رضي الله عنه ، في آخر خلافته : (اللهم تحذني
إليك) . وذلك لما رأى الأمور لا تجتمع له ، ولا يزداد الأمر
إلا شدة .

وفي الحديث : « إن الرجل ليمر بالقبر - أي زمان
الدجال - فيقول : يا ليتني مكانك . لما يرى من الفتن
والرلزل والأمر الهائلة التي هي فتنة لكل مفتون »^(١) .

* * *

(١) مختصر ابن كثير : ٢ / ٢٦٣ . يتصرف بسيط .

□ نبي الله سليمان □

أحد أنبياء بني إسرائيل نبي مسلم ويدعو للإسلام

لما جاء الخبر من الهدد لسليمان عليه السلام عن بلقيس ملكة اليمن ، وأنها وقومها يعبدون الشمس ، أرسل لها كتاباً يدعوها وقومها للإسلام ، كما قال تعالى : ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾^(١) . قالت بلقيس لأشراف قومها من الكبراء والوزراء : ﴿ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ ؛ وصفته بالكريم ؛ لأنه كتب بطريقة مؤدبة مهذبة ، وأن الهدد ألقاه في حجرها وهي بين أركان دولتها ، ثم تولى عنها أدباً وحياءً . وهذا نص الكتاب : (من عبد الله سليمان بن داود ، إلى بلقيس ملكة سبأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، السلام على من اتبع الهدى . أما بعد : فلا تعلموا علي

(١) سورة النمل : ٢٩ ، ٣٠ .

وأتوني مسلمين)^(٢) . وقد استجابت بلقيس ، وجاءت إلى سليمان عليه الصلاة والسلام ؛ وقال لها : ادخلي الصرح ؛ أي بهو القصر المصنوع من الزجاج ، والذي يجري الماء والأسماك من تحته ، وبعد أن دخلت الصرح ، ورأت عظمة ملك سليمان ، وأنه أعظم من ملكها وأعز وأكرم ، ثم لما وقفت على سليمان ، دعاها إلى عبادة الله وحده ، وعاتها على عبادة الشمس من دون الله ، قالت : ﴿ رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ ، فأسلمت وتحسن إسلامها^(٣) ، رضي الله عنها .

* * *

(١) أسير التفاسير : ٣ / ٢٥١ .

(٢) مختصر ابن كثير : ٢ / ٦٧٤ .

□ موسى كليم الله نبي مسلم □

يدعو قومه بني إسرائيل للإسلام

ويدعو فرعون للإسلام كذلك

أرسل الله موسى بن عمران إلى بني إسرائيل ، يدعوهم للإسلام ، وأرسل معه التوراة : ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾^(١).

﴿ وَكُنَّا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾^(٢).

أعطى الله موسى التوراة التي سماها الفرقان ؛ لأنها تفرق بين الحق والباطل ، والحلال والحرام ، كي يبلغها قومه ، ويدعوهم إلى الأخذ بأحسن ما جاء في الألواح ؛ أي بما هو عزائم فيها وليس برخص ، تربية لهم وتعويداً لهم على تحمل العظام ؛ لما لازمهم من الضعف والخور دهرًا طويلاً .

(١) سورة البقرة : ٥٣ . (٢) سورة الأعراف : ١٤٥ .

﴿ سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ يتصمّن الهي لبني إسرائيل عن ترك ما جاء في الألواح من الشرائع والأحكام ، فإنهم متى تركوا ذلك ، أو شيئاً منه ، يعتبروا فاسقين ، وللفاسقين نار جهنم ، هي جزاؤهم يوم يلقون ربهم ، وسيرهم إياها^(١).

وبعد جهاد شاق مع بني إسرائيل ، آمن معه جماعة منهم ، أمرهم موسى بقوله : ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ قَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾^(٢).

﴿ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ ؛ أي فوضوا أمركم لله إن كنتم مسلمين حقاً ، منقادين لأمره ونهيه ، فهو كافٍ من توكل عليه ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾^(٣) ؛ أي كافيه ما همّه من أمر الدنيا والآخرة ، فأجابوه ، رحمهم الله : على الله توكلنا . ثم دعوا ربهم قائلين : ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِقَوْمِ

(١) أيسر التفسير : ٣ / ٧٨ . (٢) سورة يونس : ٨٤ - ٨٦ .

(٣) سورة الطلاق : ٣ .

الظالمين ﴿١﴾ ؛ أي لا نجعلهم يتصرفون علينا ، ولا تُسلطهم علينا ، فيزدادوا كفرًا وظلمًا وطغيانًا ، فيفتنونا عن ديننا ويصرفونا عنه بالقوة ، ويظنون بتسلطهم علينا أنهم على حق ونحن على باطل^(٢) .

﴿ ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ﴾ ؛ أي خلصنا برحمة منك وإحسان من القوم الكافرين ، وهم هنا فرعون وقومه ، وقد استجاب الله دعاءهم ونجّاهم ، وأغرق وأهلك عدوهم .

ثم أوحى إلى موسى وأخيه هارون عليهما السلام بقوله : ﴿ وأوحينا إلى موسى وأخيه أن نبوء القومكما بمصر بيوتًا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين ﴾^(٣)

يذكر الله سبب إنجائه بني إسرائيل من فرعون وقومه ، وكيفية خلاصهم منهم ، وذلك بأن أمر موسى وأخاه هارون

(١) وهذه الآية والتي بعدها ، يُستحب الدعاء بهما عند الحاجة ؛ للنجاة من كل ظالم وكافر .

(٢) سورة يونس : ٨٧ .

أن يتخذوا لقومهما بمصر بيوتًا ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : أمروا أن يتخذوها مساجد^(١) ؛ أي ليصلوا فيها ، لمنع فرعون الصلاة في المساجد . وقيل : ﴿ قبلة ﴾ أي متقابلة ، ومساجد يصلون فيها .

﴿ وأقيموا الصلاة ﴾ ؛ أي على الوجه الذي شرع لكم . هذا بناءً على أن بني إسرائيل ، بعد الانتصار الساحق على فرعون وإيمان سحرته مع موسى وهارون ، أخذوا يتجمعون معًا ، وينحازون عن مجتمع فرعون وقومه ، حيث أمروا أن يكونوا حيًا مستقلًا ، يقيمون فيه شعائر دينهم بعيدًا عن الكفار ، وذلك استعدادًا للخروج من أرض مصر ، فأمرهم ربهم أن يجعلوا بيوتهم متقابلة ؛ ليعرفوا من يدخل عليهم ومن يخرج منهم ، وليصلوا في بيوتهم كالمساجد ، حيث مُنعوا من الصلاة في المساجد ، إما بتخريبها أو بهدمها ، وإما بمنعهم منها ظلمًا وعدوانًا^(٢) .

وهنا مسألة لطيفة ، وحكم شرعي عام ، وهو :

(١) عن عمر ابن الخطاب : ٢ / ٢٠٤ . (٢) أنكر التماسك : ٢ / ٣٠٣ . يتصرف .

أنه يحوز للمسلمين أفرادًا وجماعات ، أن يصلوا في بيوتهم عند المخوف الشديد من العدو الكافر .

* * *

□ فرعون يعلن إسلامه □

بعد الهزيمة المنكرة التي هُزم فيها فرعون وجنده ، وفوز موسى على سحره وباطله ، وبعد أن أعلن السحرة إسلامهم ، أعلن فرعون وقومه الحرب على موسى ومن آمن معه من بني إسرائيل ، أمر الله موسى بالخروج مع قومه من أرض مصر ، فجمع فرعون جيوشه ، وأمرهم بالحقاق بموسى ومن معه ، وقَتَلَهُمْ جَمِيعًا ، فَأَنْجَاهُمْ اللَّهُ مِنْهُ ، وَأَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وَجُنْدَهُ .
وعندما أيقن فرعون اللعين الغرق ، وأيقن الموت قال : ﴿ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ^(١) . آمن حيث لا ينفعه الإيمان : ﴿ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ^(٢) . الآن لا ينفعك إيمانك ، لأنه حين مُعَايَنَةِ الْعَذَابِ لَا يَنْفَعُ صَاحِبَهُ ، فَاعْتَبِرُوا بِهَا أُولَى الْعَمَلَةِ .

* * *

□ حديث صوم يوم ظهور موسى □ على فرعون

قدم النبي المدينة ، واليهود تصوم يوم عاشوراء ، فقال :
« ما هذا اليوم الذي تصومونه ؟ » فقالوا : هذا يوم ظهر فيه
موسى على فرعون . فقال النبي ﷺ : « أنتم أحق بموسى
فصومه »^(١).

أي أنتم مؤمنون بموسى ، وهم كافرون به ، ولا ينفعهم
صيامهم لكفرهم ، وأنتم أعمالكم مقبولة ، بما عندكم من
الإيمان بموسى ، والإخلاص لله في عبادتكم . والله أعلم .

* * *

□ على عهد موسى عليه السلام □ ○ حديث فضل الإسلام على الأنساب ○

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
« انتسب رجلان على عهد موسى عليه السلام ، فقال
أحدهما : أنا فلان بن فلان . حتى عد تسعة ، فمر أنت لا أم
لك ؟ »

فقال : أنا فلان بن فلان ابن الإسلام .
فأوحى الله إلى موسى ، أن قل لهذين المتسبين :
أما أنت المتسبب إلى تسعة في النار ، وأنت عاشرهم في النار .
أما أنت المتسبب إلى اثنين في الجنة ، وأنت ثالثهما في
الجنة »^(٢).

قلت : الدين النصيحة ، فلذا أنصح المتسبين إلى الآباء
والأحباب ، أن يتنسبوا للإسلام فقط ، ويعتروا به دون غيره ،
فهو منجاتهم من النار بإذن الله الواحد القهار .

(١) صحيح الجامع رقم : ١٥٠٤ / ٦٦١ .

(١) رواه البخاري ، رحمه الله .

□ خاتم أنبياء بني إسرائيل عيسى بن مريم □ نبي مسلم ويدعو للإسلام

خاتم أنبياء بني إسرائيل هو عيسى عليه الصلاة والسلام ،
وقد أرسله الله إلى بني إسرائيل - بعد موسى عليه السلام -
بدعوة التوحيد ، ويدعوهم إلى الإسلام ، قال تعالى :
﴿ وإذ قال عيسى ابن مريم لبني إسرائيل إني رسول الله
إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي
من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبین
ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام
والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾^(١).

يحبر الله تبارك وتعالى ، أن عيسى قال لليهود : يا بني
إسرائيل - نسبهم إلى جدهم يعقوب ، الملقب بإسرائيل - إني
رسول الله إليكم ، مصدقاً بالتوراة التي جاء بها موسى ،
ومبشراً برسول يأتي من بعدي ، اسمه

(١) سورة الصف : ٦ ، ٧ .

أحمد^(١) . وهو محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، صلوات الله
وسلامه عليهم أجمعين .

فلما جاءهم بالآيات الواضحة ، الدالة على صدق رسالته .
قال ابن جرير : فلما جاءهم أحمد ، أي المُنشَر به في
الأعصار المتقدمة ، المُنوّه بذكره في القرون السالفة ، لما
ظهر أمره وجاء بالبينات ، قال الكافرون والمخالفون : ﴿ هذا
سحر مبین ﴾^(٢) .

﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب ﴾ : أي لا أحد أظلم
من هذا الإنسان الذي يفتن الكذب على الله ، ويجعل له

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : وإن لي أسماء أنا
محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر ، وأنا
الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب^(أ) . ﴿ اسمه
أحمد ﴾ هذا أحد أسماء النبي الكريم ، وأحد إشارة إلى اسمه وصعته
صلى الله عليه وآله وسلم .

(٢) مختصر ابن كثير : ٣ / ٤٩٤ .

(أ) العاقب : أي آخر الأنبياء . رواه البخاري ، ومسلم بحواه

أندادًا ، ويجعل له الولد والشريك ، وهو سبحانه بريء من ذلك كله .

﴿ وهو يدعى إلى الإسلام ﴾ ؛ أي والحال أنه يدعى إلى الإسلام الاستسلام والانقياد لحكم الله وشرعه - إنه لا أظلم من هذا الإنسان أبدًا ، وهو الذي يُدعى إلى الإسلام ، فلا يسلم ، ولا يستجيب للدعوة .

﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ ؛ أي أن المواصليين للظلم ، حتى يصبح خلُقهم وطَبْعهم ، يجرهم الله من الهداية^(١) . وقد أسلم الحواريون مع عيسى عليه السلام ، بعد أن دعاهم إلى الإسلام ﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي ورسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون ﴾^(٢) .

﴿ فلما أحسن عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأننا مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ﴾^(٣) .

(١) أيسر التماس : ٤ / ٤٧٢ - بتصرف .

(٢) سورة المائدة : ١١١ - (٣) سورة آل عمران : ٥٢ ، ٥٣ .

﴿ فلما أحسن عيسى منهم الكفر ﴾ ؛ أي فلما ظهر الكفر من بني إسرائيل ظهورًا بآنٍ لِلْحَسِّ ، فضلًا عن الفهم ، وأرادوا قتله . ﴿ قال من أنصاري إلى الله ﴾ ؛ أي من أعواني إلى عصرة دين الله ؟ ﴿ قال الحواريون^(١) نحن أنصار الله آمنا به واشهد بأننا مسلمون ﴾ .

﴿ ربنا آمنا بما أنزلت ﴾ ؛ أي آمنا بالكتب السماوية التي أنزلتها مع رسلك ، واتبعنا رسولك وآمنا به ، فاجعلنا في رمة الذين يشهدون يوم القيامة للرسول بأنهم بلغوا رسالاتهم ، ومن الشاهدين لك بالوحدانية .

أما الدين كفروا بعيسى ، وهم اليهود عليهم لعائن الله ، كما كفروا بموسى من قبل ، فقد وشوا إلى ملك ذلك الزمان ، وكان كافرًا مثلهم ، وقالوا له ، إن هناك رجلًا يصد الناس عن دين الملك ، ويُصِل الناس ويفسد عقولهم ، وإنه ساحر ، وإله ابن رثا ... إلى آخر هذه الأباطيل ، حتى أوغروا صدر الملك الكافر عليه ، فأرسل شرطته كي يحصروه ويقتلوه ،

(١) الحواريون هم صعوة أتباع عيسى ، وأنصاره ، وأحبائه .

فَأَقْبَىٰ اللَّهُ شَيْهَهُ عَلَىٰ رَئِيسِ شَرْطَةِ الْمَلِكِ ، وَظَوْهَ عَيْسَى .
وَأَحْدَوْهُ وَصَرَّبُوهُ وَأَهَامُوهُ ، وَرَفَعَ اللَّهُ عَيْسَى إِلَيْهِ ، وَأَخْزَىٰ اللَّهُ
أَمْنَهُ وَخُذَهُ ، وَإِبْلِيسَ وَعَسْكَرَهُ ﴿١﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٢﴾ ، وَاللَّهُ عَلَيْهِ قَدِيرٌ ، ﴿٣﴾ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ
وَلَكِن أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ .

* * *

□ يَأْهَلُ الْكِتَابُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى □ أَسْلَمُوا كَمَا أَسْلَمَ عِلْمَاؤُكُمْ الرِّبَانِيُّونَ

لَقَدْ أَحَدَ اللَّهُ مِيثَاقَهُ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ ، وَعَلَىٰ مَنْ تَبِعَهُمْ
بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ، أَنْ يَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَيَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ،
وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ ذَلِكَ فِي سُورَةِ الْعَصْرِ : ﴿١﴾ وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ
لَفِي خَسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ
وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٢﴾ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ :
« الدِّينُ النَّصِيحَةُ » ﴿٣﴾ .

وَالنَّصِيحَةُ كَلِمَةُ جَامِعَةٌ ، جَعَلَهَا الرَّسُولُ الدِّينَ كُلَّهُ ،
وَمَعَهَا حَيَازَةُ الْخَيْرِ لِلْمُتَصَوِّحِ لَهُ ، وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ عَمِلُوا بِهِدَمِ
الكَلِمَةِ الْجَامِعَةِ ، لَكَانَ الْخَيْرُ شَامِلًا لِمَجْتَمَعَاتِ الْإِنْسَانِيَةِ عَامَّةً ،
وَالْإِسْلَامِيَّةِ خَاصَّةً . وَالنَّاسُ مَدْعُوونَ لِلْإِسْلَامِ ، وَهُوَ الْإِنْقِيَادُ
وَالطَّاعَةُ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَعِنْدَمَا يَنْقَادُ النَّاسُ لَطَاعَةِ اللَّهِ ،
يُخْلَصُ الْمُجْتَمَعُ مِنَ الْحَقْدِ وَالْحَسَدِ ، وَالبَغْضَاءِ وَالِاسْتِعْلَاءِ فِي
الْأَرْضِ ، وَهِنَا تُدَكَّرُ أَهْلُ الْكِتَابِ بِقَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا :

﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾^(١).

أيها اليهود والنصارى ﴿ تعالوا إلى كلمة سواء ﴾ أي كلمة عادلة مصممة ، وهي أن نعبد الله وحده لا شريك له ، وألا نطيع الرهبان والأخبار بغير ما أنزل ، فكون قد عبدناهم ، فطاعتهم على الكفر والمأطل هي عبادتهم ، عباداً بالله .

فيأتيها اليهود : أسلموا كما أسلم منكم العالم الرباني عبد الله ابن سلام رضي الله عنه وكانت قصة إسلامه ، كما أخرجها الطبراني ، بسند صحيح عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال : انطلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنا معه ، حتى دخلنا كنيسة^(٢) اليهود يوم عيدهم ، فكروها دخولنا عليهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يا معشر اليهود ، أروني اثني عشر رجلاً منكم يشهدون أن لا إله إلا الله ،

(١) سورة آل عمران : ٦٤ .

(٢) الكنيسة هي مكان عبادة اليهود ، اتخذوها بدل المساجد التي كان يصلي فيها موسى ومن أسلم معه من بني إسرائيل .

يحط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء بعض الذي عليه . فسكبوا جميعاً ، فما أجابه منهم أحد ، ثم انصرف ، فإذا رجل خلفه فقال : كما أنت يا محمد . فأقبل فقال : أي رجل تعلمونني فيكم يا معشر اليهود ؟ قالوا : والله ما نعلم فينا رجلاً كان أعلم بكتاب الله ، ولا أفقه منك ولا من أيبك قبلك ، ولا من جددك قبل أيبك . قال : فإني أشهد أنه النبي الذي تحدونه في التوراة . فقالوا : كذب . وقالوا فيه شراً ، فقاتلهم الله .

فيا معشر اليهود : أسلموا كما أسلم عالمكم واس عالمكم ، وفقهكم عبد الله بن سلام ، ولا تكذبوا وتستكبروا وتعاندوا جددكم ، العالم الفقيه ، والصحابي الجليل ، رضي الله عنه وأرضاه . وقد أرسل الله فيه وفيكم قرآناً يبنى إلى يوم القيامة

﴿ قل أرايتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾^(١).

(١) سورة الأحقاف : ١٠ .

وَيَأْتِيهَا النَّصَارَى : أَسْلَمُوا كَمَا أَسْلَمَ مَلِكُكُمْ ، وَعَالِمُكُمْ
الرِّبَاطِيُّ النَّجَاشِيُّ ، لَمَّا بَلَغَتْهُ الدَّعْوَةُ الْمَحْمُودِيَّةُ ، وَأَسْلَمَ مَعَهُ
عُلَمَاؤُكُمْ الْقَسِيصُونَ ، الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ قُرْآنًا
يُتْلَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا تُلِي
عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ
أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَبَدَّوْهُنَّ بِالْحَسَنَةِ
السَّيِّئَةِ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ
وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي
الْجَاهِلِينَ ﴾ ^(١)

وَيُخْبِرُنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَدَبُ الْعُلَمَاءِ الْأَوْلِيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ،
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَبِالْقُرْآنِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ :

﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ
وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ ^(٢)

(١) سورة القصص : ٥٢ - ٥٥ . (٢) سورة آل عمران : ١٩٩ .

قَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : نَزَلَتْ هَذِهِ فِي سَبْعِينَ
مِنَ الْقَسِيصِينَ ، بَعْثُهُمُ النَّجَاشِي ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ : ﴿ يَس وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ﴾ .
حَتَّى نَحْتَمِلَهَا ، فَجَعَلُوا يَكُونُ ، وَأَسْلَمُوا .

وَنَزَلَتْ فِيهِمُ الْآيَةُ الْأُخْرَى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ
مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا تُلِي عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ
مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾ ؛ أَيِ كُنَّا قَبْلَ هَذَا الْقُرْآنِ
مُسْلِمِينَ بِالتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ .

﴿ أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴾ ؛ أَيِ هَؤُلَاءِ
لَهُمُ الثَّوَابُ الْمَضَاعَفُ ؛ لِأَنَّهُمْ آمَنُوا بِمُوسَى وَعِيسَى ، ثُمَّ آمَنُوا
بِمُحَمَّدٍ ، وَصَبَرُوا عَلَى اتِّبَاعِ الْحَقِّ ، وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى أَذَى الْكُفَرِ
مِنْ قَوْمِهِمْ ، وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَإِنْ تَحَشَّيْتُمْ مِثْلَ هَذَا الشَّدِيدِ عَلَى
النَّفْسِ .

رَبِّهِ وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : « ثَلَاثَةٌ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ
مَرَّتَيْنِ : رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِسَيِّدِهِ ، ثُمَّ آمَنَ بِرَبِّهِ . وَعَبْدٌ
مَمْلُوكٌ أَذَى حَقَّ اللَّهِ ، وَحَقَّ مَوَالِيهِ . وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أُمَةٌ ،
فَأَدْبَاهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيَهَا ، ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَرَوُجُهَا ... » الْحَدِيثُ .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « من أسلم من أهل الكتابين فله أجره مرتين ، وله ما لنا وعليه ما علينا »^(١).

﴿ ويدرءون بالحسنة السيئة ﴾ : أي يدفعون الحسنة بالسيئة ، فهم لا يقابلون السيئة بالسيئة ، بل يعفون ، ويصفحون عمن أساء إليهم .

﴿ وما رزقناهم ينفقون ﴾ : أي يُخرجون زكاة مالهم ، ويؤدونها لمستحقها ، وكذلك يتصدقون بقضول أموالهم في طرق الخير وأعمال البر ، التي تعود بالنفع العظيم والعميم على المجتمع الإسلامي الكريم .

﴿ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ﴾ : أي إذا سمعوا الكلام اللاغي ، كالشتم والسب أو الأذية أو سُخْف القول ، ابتعدوا عن أهله ، ولم يُخالطوهم أو يردوا عليهم ، وذلك تكريمة لأنفسهم ، وترفعاً لها ، وتشريعاً عن اللغو والعبث وأهله .

قال محمد بن سيرين رحمه الله : قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو بمكة ، عشرون رجلاً من النصارى ، حين بلغهم خبره من الحبشة ، فوجدوه في المسجد ، فجلسوا إليه

(١) رواه الإمام أحمد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة .

فكلموه وسألوه ، ورجال من قريش في أندية حول الكعبة ، فلما فرعوا من مسأله ﷺ عما أرادوا ، دعاهم إلى الله تعالى ، وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا القرآن فاصت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا لله ، وآمنوا به وصدقوه ، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره .

وقال سعيد بن جبير ، والسدي ، وغيرهما : فلما رأوه فقرأ عليهم القرآن ، أسلموا وبكوا وخشعوا ، فلما قاموا معه ، اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش ، فقالوا لهم : خيبتكم الله من ركب ، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ، تترادون لهم ؛ لتأتوهم بخير الرجل ، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقت دينكم ، وصدقتموه فيما قال ، ما نعلم ركباً أحق منكم . فقالوا لهم : سلام عليكم لا نجاهلكم ، لما ما نرجى عليه ، ولكم ما أنتم عليه .

يقال محمد بن إسحاق رحمه الله : سألت الزهري عن هذه الآيات : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب ﴾ مِمَّنْ نزلت ؟ قال : ما نزلت أسمع من علمائنا ، أنهم نزلت في النجاشي وأصحابه ، رضي الله عنهم .

والآيات التي في سورة المائدة : ﴿ ذَلِكَ بَأْن مِنْهُمْ قَسِيسٍ وَرَهَابًا ﴾ إِي قُوهُ ﴿ فَآكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾^(١)
 قَالَ سَلَمَكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَقَرَأْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَآلِهِ وَسَلَّمَ . ﴿ ذَلِكَ بَأْن مِنْهُمْ قَسِيسِينَ ﴾ فَأَقْرَأَنِي : (ذَلِكَ
 بَأْن مِنْهُمْ صَدِيقَيْنِ وَرَهَابًا)^(٢) .

﴿ فَآكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ، أَيِ اكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ مَعَ
 مُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ ، هُمْ لِشَاهِدُونَ يَشْهَدُونَ لِسَيِّدِهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
 وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَدْ نَلَّغَ ، وَيَشْهَدُونَ لِلرَّسُولِ بِأَنَّهُمْ قَدْ نَلَّغُوا .
 (وَكَانُوا كِرَابِيِينَ) ؟ أَيِ فَلَاحِينَ ، قَدِمُوا مَعَ جَعْفَرِ بْنِ
 أَبِي طَالِبٍ مِنَ الْحَبِشَةِ . فَلَمَّا قَرَأَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ الْقُرْآنَ ، آمَنُوا
 وَفَاصَتْ أَعْيُنُهُمْ^(٣) ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

(١) سورة المائدة : ٨٢ ، ٨٣ .

(٢) القيسون : هم العلماء المتواضعون والمقادون للحق وأنشأه
 والرهبان : هم المتكاد في الصوامع والحرب .

(٣) مختصر ابن كثير : ١ / ٥٤٠ .

□ أخطاء يجب أن تُصحح □

نقرأ كثيرًا أن اليهود هم الدين آمنوا بموسى ، ولم يؤمنوا
 بـعيسى ، وهذا خطأ وعلط . والصحيح أن الذين آمنوا بموسى
 من بني إسرائيل هم مسلمون ، كما مرَّ معنا في قصة موسى
 عليه السلام ، واليهود هم الدين لم يؤمنوا بموسى عليه
 السلام ، وآمنوا بالسامري وعبدوا العجل ، وقد أمر موسى
 الذين لم يعبدوا العجل ، وبقوا على إسلامهم ، أمرهم أن
 يقتلوا من عبدوا العجل . فقتلوا منهم سبعين ألفًا . ثم تاب الله على
 الباقين ، ثم قالوا لموسى : أرنا الله جهرة فأَمَاتَ اللَّهُ السَّعِينَ
 الذين اختارهم موسى عليه السلام ؛ لأنهم ممن عبدوا العجل ،
 فندما موسى ربه ، فأحياهم ورزقهم المن والسلوى ، فطلبوا
 مِن موسى أن يبدلهم ذلك بالبصل ، والثوم ، والعدس ، فلم
 يبدلهم ذلك ؛ لأنه طلبٌ بطر وكبر وتعجيز لنبيهم
 عليه السلام ، ولكنه ضرب عليهم الذلة والمسكنة ، وباعوا
 بغضب من الله إلى يوم القيامة ، كما بينَّ الله ذلك في سورة
 البقرة : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاعُوا بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ

الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ^(١).

والتنصاري هم الذين كفروا بموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ، فهم كفار ضالون : ﴿ ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فتسوا خطأ مما ذكرنا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ﴾ ^(٢). ثم قال تبارك وتعالى بنفس السورة : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾ ^(٣).

أما الذين آمنوا بعيسى عليه السلام ، فهم مسلمون ، كما مر معنا في سيرة عيسى عليه السلام ، والحواريون من الذين أسلموا .

ومن الأخطاء الشائعة قولهم : إن الإسلام صفوة الأديان . والحقيقة أن الإسلام هو الدين الوحيد من عند الله ، فإذا قلنا : إنه صفوة الأديان ، يتبادر لذهن القارئ ، أن هناك أدياناً أخرى أنزلها الله سبحانه ، وهذا لا يجوز تصوُّره ، أو القول به . ويمكن أن نقول : إن الإسلام صفوة الإيمان . فهو الدين الخالص

(١) سورة البقرة : ٦١ .

(٢) سورة المائدة : ١٤ .

(٣) سورة المائدة : ١٧ .

من الشرك والفسق ، والخالص لله وحده .

ومن الأخطاء التي يقع فيها كثير من الكتاب المتتبعين للعلم قولهم : (الكتب المقدسة) عن التوراة والإنجيل المُحرَّفين ، والمُبدلين من قبل اليهود ، ولا يُطلق هذا اللفظ إلا على الكتب المُترلة من عند الله كما هي ، وقبل أن تمتد إليها يد العابثين المجرمين .

فالقرآن هو الكتاب الوحيد المقدس ؛ لأنه كلام الله ، نزل على أشرف وأصدق خلق الله ، وحفظه الله من التغيير والتحريف والتبديل ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ ^(١) ، ﴿ وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ ^(٢) . وقد حفظه المسلمون في صلواتهم عن ظهر قلب ، ذكوراً وإناثاً ، كباراً وصغاراً ، ولم يَحْدِث من الكتب السماوية في الصدور غيره ؛ لأنه الدستور الذي أراد الله ، وَحَكَمَ بِالْحُكْمِ به والعمل بأحكامه إلى يوم القيامة ، حيث لا كتاب بعده ، ولا مثله أبداً .

(١) سورة الحجر : ٩ .

(٢) سورة فصلت : ٤١ ، ٤٢ .

أما التوراة والإنجيل ، المنزلان على موسى وعيسى قبل التحريف والتبديل ، فهما كتابان مقدَّسان ، ومن شكَّك في ذلك كفر ، عيادًا بالله .

ومن الأخطاء قولهم : (إن القسيسين الذين أسلموا بالمدينة) قول بعضهم : إنهم (كانوا على دين المسيح) . فهذا غلط وخطأ ، أن نقول : دين المسيح . وتسكت ، والصحيح أن نقول : إنهم كانوا مسلمين ، مؤمنين بعيسى عليه السلام ، أو أن نقول : إنهم كانوا على دين المسيح الذي هو دين الإسلام ، دين الأنبياء والمرسلين أجمعين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

هذا ما فتح الله علينا بإملائه . وكانت بداية إملائه في غرة شهر ربيع الأول سنة ١٤١٤ هـ . وكانت نهاية إملائه في السابع عشر من شهر رمضان المبارك من نفس العام .
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

العبد الفقير الراجي غفر له

أحمد محمد شاوور

مكة المكرمة في ١٧/٩/١٤١٤ هـ

□ الفهرس □

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
٩	الإهداء
١١	الاستشهاد بالقرآن الكريم
١٥	مثال عقلي مادي على انتهاء مهمة التوراة والإنجيل
١٩	دين الله واحد
٢١	سورة الكافرون
٣١	الله جل جلاله
٣٤	الله واحد وغيره اثنان
٣٦	مثال عقلي مادي على بشرية عيسى ونفي ألوهيته
٣٨	ولله لا ينال ولا يموت
٤١	رب العالمين
٥١	طوائف الناس :
٥٣	١ - المؤمنون
٥٩	٢ - الكافرون
٦٣	مثال عقلي مادي على ختم قلب وسمع وبصر الكافر

- ٣ - المنافقون ٦٦
- للإسلام دين الرسل جميعهم ٧٢
- أول الأنبياء والرسل نوح عليه السلام نبي مسلم ويدعو للإسلام ٧٩
- أبونا أبو الأنبياء إبراهيم الخليل نبي مسلم وهو الذي سماتا بالمسلمين ٨١
- يوسف عليه السلام واحد من أنبياء بني إسرائيل هو نبي مسلم ويدعو للإسلام ٨٤
- نبي الله سليمان أحد أنبياء بني إسرائيل نبي مسلم ويدعو للإسلام ٨٨
- موسى كليم الله نبي مسلم يدعو قومه بني إسرائيل للإسلام ويدعو فرعون للإسلام كذلك ٩٠
- فرعون يعلن إسلامه ٩٥
- حديث صوم يوم ظهور موسى على فرعون ٩٦
- على عهد موسى عليه السلام (حديث فضل الإسلام على الأنساب) ٩٧
- خاتم أنبياء بني إسرائيل عيسى بن مريم نبي مسلم ويدعو للإسلام ٩٨

- يأهل الكتاب من اليهود والنصارى أسلموا كما أسلم علماءكم الربانيون ١٠٣
- أخطاء يجب أن تصحح ١١١
- الفهرس ١١٥

* * *

عدد الوثائق

- ١- في السيرة النبوية
- السيرة والشمال مذكورة
- ٢- القواعد الذهبية لمقتل كتاب عبد البرميه
- الطبعة الثالثة
- ٣- قواعد الترتيل والقواعد الذهبية لأحكام الضويع
- الطبعة الثالثة
- ٤- السبل الذهبية لأحكام الحج والعمرة
- الطبعة الثانية

رقم الايداع بدار الكتب ٩٤/٨١٨٦

مطبع دار بنية بالفهره

هاتف ٨٦٤٢٤٠